قصص

يوكيو ميشيما

نوافير في المطر

إعداد مكتبة الأمين

"حياة البشر قصيرة ..

لكني أود ان احيا الى الأبد "

(قصاصة تركها ميشيما على مكتبه

صبيحة إقدامه على الانتحار)

المحتويات

ميشيما .. لماذا أصبح الامبراطور انسانا ؟

(بقلم كاظم حسوني) 1

نوافير في المطر – قصة قصيرة

(ترجمة كامل يوسف حسين) 4

القماط – قصة قصيرة

(ترجمة خلف سرحان القرشي) 13

حب راهب معبد شيغا البوذي – قصة قصيرة

(ترجمة ميسرة عفيفي) 19

فتي يكتب الشعر – قصة قصيرة

(ترجمة ميسرة عفيفي) 36

يوكيو ميشيما بقلم يوكيو ميشيما – مقالة صحفية

(ترجمة ميسرة عفيفي) 49

- مدخل -

ميشيما.. لماذا أصبح الإمبراطور إنسانا

بقلم :كاظم حسوني

يعد (يوكيو ميشيما) (1925-1970) أكثر أدباء اليابان موهبة غزارة في الانتاج، اذ كتب أكثر من ثلاثين رواية، فضلا عن العديد من المسرحيات والمقالات والقصص وغيرها من مواد الصحافة والسينما والسيرة الذاتية، ومع حماسته في الكتابة، كان شغوفا بممارسة رياضة (الكندو) والكاراتيه ورفع الأثقال، والتمارين العنيفة الخاصة ببناء الجسم، كذلك وجد متسعا في ممارسة هوايته الاخراج والتمثيل في السينما، مثلما واظب على دراسة القانون في جامعة طوكيو، هذا فضلا عن تأسيسه لميليشيات عسكرية، وضع لها نظاما مستوحا من تراث وروح اليابان القديم، لكنه رغم اهتماماته المتنوعة، برز أكثر بصفته كاتبا ذاع صيته الى خارج حدود بلده، حيث شكلت انجازاته الابداعية شهرة واسعة خاصة لدى الأجيال الشابة، وذلك يعود الى أساليبه وأفكاره المؤثرة التي تناول فيها أخلاق وقيم الجيل الضائع ليابان ما بعد الحرب، اذ جسدت معظم رواياته وقصصه بصور رائعة، مشاعر القنوط والحيرة، التي كانت سائدة بين كثير من اليابانيين منذ زمن الحرب، لكن اللافت للانتباه في أدب ميشيما في أعمال عديدة الانتحارات بطريقة الـ(سبوكو) ففي روايته (اعترافات قناع) التي تمثل سيرته الذاتية، نتلمس فيها تقلبه منذ فتوته لفكرة الموت المبكر، بالانتحار! أما في رواية (خيول هاربة) فيمكننا متابعة بطله الذي يبدي استعدادا وحماسا مفرطا للموت في سبيل أفكاره، وفي النهاية يقدم باصرار على قتل نفسه، وفي الرواية ذاتها تقوم مجموعة الساموراي المتمردة بالانتحار الجماعي، بعد ان منيت بالهزيمة على يد القوات النظامية، حيث شرع ثمانون من الناجين منهم باقامة الشعائر التقليدية للانتحار، مما حدا بالجنود الذين كانوا يطاردونهم الى التباطؤ في ملاحقتهم كيما يمنحوا لهم الوقت

الكافي للانتحار فوق قمة الجبل. وفي احدى المسرحيات كان ميشيما يمثل دور (ساموراي) ينتحر، أما في فيلم (شعور وطني) فقد لعب دورا مماثلا في تنفيذ الانتحار، وتصفه الكاتبة (مارغريت يوسنار) (يظهر ميشيما، نصف عار، معصوب الرأس بالوشاح التقليدي، شاهر سيف (كندو) مصوبا نحو بطنه النصل الذي سيخترقها يوما ما) وفي البوم الصور الفوتوغرافية الذي عرض بعد وفاته بعنوان (تعذيب بواسطة الزهور) يبدو ميشيما في معظمها وهو يتلقى ضروبا مختلفة من الموت على حد تعبير (مارغريت يوسنار)، لكن من خلال مجمل كتاباته ومسارات حياته يتضح اقتناعه شيئا فشيئا تصميمه على الموت، بطريقة احتفالية، كما كان يفعل أبطال اليابان القديمة الذين يتعمدون الموت في دروعهم التي هي من حديد او فولاذ بعد اعتناقهم لفلسفة الساموراي، ويذكر كتاب سيرة ميشيما ان ستة كتاب يابانيين معروفين كانوا قد انتحروا قبله، ولكن أحد من هؤلاء الكتاب لم ينتحر بطريقة احتفالية ووحده ميشيما سيموت بطريقة الـ(سبوكو) العنيفة، (كذلك شهدت اليابان آخر الانتحارات الكبيرة في فترة الاضطراب والهزيمة أبان الحرب العالمية الثانية عندما انتحر اميرال (أونيشي) قائد وحدات الكاميكاز والجنرال (آنامي) وزير الحربية، ومعه نحو عشرين ضابطا كانوا قد انتحروا بطريقة الـ(سبوكو) بعد استسلام اليابان)، وقد عجل من اندفاع ميشيما على الانتحار، مجمل الوقائع والأحداث السياسية الخطيرة التي سبقت أو رافقت هزيمة بلاده، بما فيها فترة الاحتلال الأميركي في أعقاب الحرب، وما تبعها من معاهدات أبقت اليابان في دائرة النفوذ الأميركي، فضلا عن الحدث الأكبر (المتمقل بإعلان الامبراطور عن تخليه من صفته كممثل لسلالة الشمس، وعن العصمة وعن اعتبار نفسه ممثلا للقدرة الالهية)، واعترض ميشيما لتحول الامبراطور من اله الى انسان! (لماذا أصبح الامبراطور إنسانا؟!) أما التحولات والتغيرات التي تلت هذه المرحلة، ودفعت باليابان الى التحديث والتصنيع والحياة البرلمانية، كما حصل في قارة أوروبا، فقد لاقت هذه المظاهر الجديدة معارضة شديدة من (ميشيما) وأتباعه من فصائل الساموراي، وبقي يشكل مع جماعته أشد النقامين على أوضاع التحديث، التي من شأنها -كما يرى تلويث (الروح اليابانية) ومسخها، فراح ينادي ويعمل مع المعترضين على إعادة الاعتبار للامبراطور بوصفه مثلا أعلى، وسعيا للتمسك والحفاظ بعقيدته المثالية، للدفاع عن روح اليابان، سارع لانشاء جيش خاص سمي (جماعة كبش الفداء في سبيل الامبراطور) الذي ضم بضع مئات من الرجال، الذين اتخذوا لهم زيا خاصا، وكان (ميشيما) قد كتب نشيدهم الوطني بنفسه،

وتذكر (مرغريت يوسنار) (ان ميشيما بقي يهيء لموته الاحتفالي لعدة أعوام، ولما أعد العدة لكل شيء وبات جاهزا، حدد يوم (25) تشين الثاني عام 1970، وفي هذا اليوم كان يمارس حياته (الاعتيادية حيث قام بتسليم الناشر الجزء الاخير من روايته الثلاثية، بعد ان استحم وأحلق ذقنه بعناية، في الصباح الباكر، قام بارتداء بزته النظامية، (لجماعة كبش الفداء) أنها عاداته اليومية، لكنها في ذلك الصباح اكتسبت رهبة ما، وقبل مغادرة مكتبه ترك على الطاولة قصاصة ورق كتب عليها (حياة البشر قصيرة، لكني أود ان أحيا الى الأبد) وبعيد انتحاره قال رئيس الوزراء (لقد كان معتوها)، ووالد ميشيما كان قد تلقى الخبر الأول من المذياع، وكان رد فعله هو (كم سيسبب لي من متاعب)، أما زوجته (يوكيو) فقد تلقت الخبر وقالت (أنها تتوقع ما حدث ولكن ليس قبل سنة او سنتين) لكن الأقوال المؤثرة قالتها والدته أثناء استقبال المعزين (لا تشفقوا عليه، لأول مرة في حياته فعل ما كان يرغب) مما يذكر (ميشيما) نفسه حين كتب ذات مرة في عام 1969 (عندما استرجع الأعوام الخمسة العشرين المنصرمة تمتلكني الدهشة من الفراغ الذي كان يسودها، أكاد لا أستطيع أن أقول أنني عشت).

نوافير في المطر

ترجمة: كامل يوسف حسين

غمر التعب الفتى من جراء التجوال تحت المطر, مصطحبا معه هذه الفتاة, التي ما كانت لتكف عن البكاء, والتي أثقلته كأنها شيكارة رمل.

كان قد أبلغها قبل لحظات, في مقهى بمبنى مارونوتشي, بأن كل شيء قد انتهى بينهما. وكانت تلك هي المرة الأولى في حياته التي أبلغ فيها فتاة بإنهاء صلته بها. وقد كان هذا شيئا طالما داعب خياله, والآن ها هو ذا قد أصبح واقعا.

لذلك السبب وحده كان قد أحب الفتاة, أو تظاهر بأنه يحبها, ولذلك السبب وحده لاحقها بدأب, وسعى يائسا إلى فرصة الانفراد بها. وأخيرا تمكن اليوم, بعد اكمال كل الاستعدادات, وبعد أن أصبح هو نفسه مؤهلا الآن لذلك ,من التفوه بتلك الكلمات: (كل شيء قد انتهى), الكلمات التي تطلع إليها طويلا وبشغف, لينطقها بشفتيه, مثلما يصدر ملك أمرا, كلمات يمكن بمقتضى نطقها وبأسها أن تشق السماء شقا, كلمات احتفظ في شغف من خلالها بحلمه بأنه سيفعل ذلك حيا, ومع ذلك فإنه طوال الوقت ركن على وجه التقريب إلى أن هذا, في واقع الأمر, لا يمكن له أن يحدث, إنها أكثر الكلمات بطولة, أكثرها تألقا في الدنيا, والتي تحلق إلى عليين مثلما سهام انطلقت من قوس, ساعية إلى هدفها مباشرة وبلا التواء, كلمات طلسمية لا يسمح بنطقها إلا لرجل معدود بين الرجال, لأفضل أنواع الأشخاص, (كل شيء قد انتهى).

غير أن أكيو لم يستطع الحيلولة دون شعوره بالأسف على أنه قد جعل عبارته أبعد ما تكون عن الوضوح ,بحشرجة مخنوقة صادرة من جوفه, كأنما هو مصاب بالربو علق البلغم بزوره, فلم يؤت ثمرته المرجوة ماء الصودا الذي نهل منه ليجعل زوره سالكا.

خشي أكيو في ذلك الوقت أكثر من أي شيء آخر ألا تدرك الفتاة ما قاله, لسوف يكون الموت خيرا من أن تطلب منه أن يكرر ما قاله, عندما تنجح الإوزة, التي أصابها الهوس على امتداد سنوات بأن تضع بيضة ذهبية, في القيام بذلك في نهاية المطاف, لا لشيء إلا لتنكسر منها

قبل أن يتمكن رفيقها من رؤية تلك البيضة ,فليس بمقدورك أن تتوقع أن تضع بيضة أخرى بعد ذلك بدقيقة.

غير أنه من حسن الحظ أنها كانت قد سمعته. ولأنها قد سمعت ما قاله على وجه الدقة, الأمر الذي يجعل التكرار غير ضروري, ما كان يمكن إلا أن يعتبر حظا طيبا على نحو بالغ الوضوح, فها هو أكيو أخيرا يمضي قدما على قدميه مجتازًا المضيق الواقع عند قمة الجبل التي طالما حدق فيها من بعيد.

قُدم له برهان جلي على أنها قد سمعته في اللحظة التالية, مثل علكة تطير خارجة من ماكينة للبيع.

كانت النوافذ قد أُغلقت بإحكام في مواجهة المطر, وترددت في أرجاء القاعة كلها أصداء أصوات الزبائن الآخرين حولهما وقرقعة الأطباق وجرس صندوق النقود, وإذ احتجزت داخل القاعة فقد ترددت برهة مع صوت قطرات الماء الرطبة على ألواح النوافذ الداخلية, فتعالت ضجة أحاطت الذهن بالضباب.

في اللحظة التي بلغت كلمات أكيو الملتبسة مسامع ماساكو عبر هذه الضجة, اتسعت عيناها النجلاوان, اللتان بدا أنهما تتجاوزان بقوة أي قسمة أخرى من قسمات وجهها الناحل, المكتئب. لسوف يكون أفضل أن نصفهما بأنهما نوع من الإخفاق, الإخفاق في التحكم, مقارنة بالقول إنهما عينان. فجأة تدفقت الدموع منهما.

ليس معنى هذا القول أن ماساكو قد أظهرت أي مؤشر دال على أنها توشك على البدء في النشيج, كما أنها لم تنخرط في الشكوى أو التذمر. وكل ما حدث هو أن الدموع قد انبثقت تحت ضغط مائي, وبدا محياها مجردا من أي تعبير.

لم يقدر أكيو ,بالطبع, خطورة الموقف حق قدرها, وافترض أنه بمثل هذا القدر والضغط الكبيرين, فإن الدموع سرعان ما ستتوقف. ومضى يرقبها عن كثب, فألفى نفسه مفتونا ببرودة مشاعره التي تشبه النعناع.

لم يكن هناك شك في أن هذا هو ما كان قد خطط له من قبل, وأوجده, وجلبه إلى أرض الواقع, وأنه كان يوحي بقليل من النزعة الآلية, لكن النتيجة النهائية كانت رائعة. حدّث الفتى نفسه مجددا بأنه اختلى بها ليرى هذا على وجه الدقة .

(لقد ظللت متحررا من ربقة الرغبة طوال الوقت)

الآن كان محيا هذه الفتاة الذي غمرته الدموع أمامه واقعا! ها هنا (امرأة مهجورة) أصلية, حقيقية, امرأة نبذها وتخلى عنها.

مع ذلك كان دفق الدموع لا يزال يتدافع وقتا أطول مما ينبغي, من دون أدنى مؤشر للتوقف. فبدأ الفتى يشعر بعدم الارتياح في هذا المكان العام.

كانت ماساكو, وهي لا تزال مرتدية معطفها الواقي من المطر, ذا اللون الفاتح, قد جلست مستقيمة الظهر في مقعدها. وكان بوسعه أن يرى ياقة قميصها الخارجي الفضفاض الأحمر ذي النقش المربع تحت طيات صدر المعطف. وبدت يداها اللتان استندتا إلى حافة المائدة متوترتين قبالتها, ولاحت جلستها متصلبة وبلا حراك.

كانت في غمار تحديقها للأمام مباشرة قد تركت دموعها تتدفق ,فانهالت بلا توقف. ولم تند عنها حركة لالتقاط منديلها وتجفيفها. ومضت تلتقط أنفاسها بصعوبة, محدثة صوتا منتظما يشبه صرير حذاء جديد وعلت شفتها السفلى التي لم تجملها بأحمر الشفاه بطريقة طلابية غير مألوفة شفتها العليا بصورة فجة, وارتعشت.

مضى رواد المطعم الأكبر سنا يرمقونهما ببعض الاهتمام. وساور أكيو أخيرا وبعد طول انتظار شعور بأنه قد انضم إلى صفوف مجتمع الكبار, ومع ذلك فقد كانت عيون الكبار هذه هي نفسها التي مضت الآن تهدد ذلك الشعور، ولم يستطع أكيو حقا منع نفسه من الشعور بالانزعاج حيال هذا التدفق الهائل للدموع, حيث لم يقل لحظة واحدة ضغط الدمع ولا انهماره. وإذ استبد به التعب, فقد انتقل بنظرته المحدقة إلى أسفل, ولاحظ طرف مظلته التي استندت إلى مقعد. وأحدث ماء المطر المتقاطر منها بريكة سوداء على القرميد عتيق الطراز الذي تألفت منه الأرضية الفسيفسائية. وبدا له أن هذه هي دموع ماساكو أيضا.

أمسك فجأة بفاتورة طعامهما, ونهض واقفا.

كانت أمطار يونيو قد همت على مدى ثلاثة أيام في طوكيو. وعندما غادر مبنى مارونوتشي وفتح مظلته, تبعته الفتاة من دون أن تنطق ببنت شفة, ولم تكن لديها مظلة, فلم يجد مناصا من أن يشركها معه في مظلته وعند هذا المنعطف اكتشف . من دون أن تتقلص برودة قلبه . الممارسة التي درج عليها الكبار والمتعلقة باهتمام المرء بالمظاهر, وبدا الآن أن هذه الممارسة قد أصبحت بصورة كاملة جزءا لا يتجزأ منه. وبعد أن طرق موضوع افتراقهما, اعتبر المشاركة الرومانسية تقليديا في مظلة واحدة مجرد تنازل شكلي, فهو لم

يترك أي شك فيما يتعلق بموقفه, وكان عدم ترك أي شك في هذا الصدد أمرا يلائم طبيعته, أيا كان الشكل المراوغ الذي اتخذه ذلك.

تمثل الشيء الوحيد الذي راح الفتى يفكر فيه, وهو يمشي على الرصيف العريض نحو القصر, في المكان الذي يمكنه فيه التخلص من هذا العبء الصارخ (أتساءل عما إذا كانوا يطلقون العنان لمياه النوافير في الأيام المطيرة)

راح يفكر في السر في أن النوافير خطرت بباله. وقبل أن يخطو خطوة أو خطوتين أخريين أو ثلاث خطوات أدهشته الطرافة العفوية لما كان يفكر فيه ،فيما هو يحتمل الملمس الموحي بملمس الزواحف لمعطفها الذي بلله المطر, عندما احتك بها بخشونة وبرود, مضى ذهنه يلاحق - على نحو مرح كما يمكنك القول تقريبا - هذا الرمز المضحك.

تلك هي المسألة! نوافير في المطر! لسوف أراهن عليها في مواجهة دموع ماساكو. بل إن ماساكو يتعين أن تأتي في المرتبة الثانية بعدها. أولا وقبل كل شيء فإن مياهها يجري تدويرها, ولذا فإن ماساكو لا يمكن أن تنافسها, حيث إن الدموع التي تذرفها تفقد, ومن المؤكد أنها ليست ندا لنافورة يجري تدوير مياهها, ما من سبيل إلى ذلك. وهذه اللوّامة الصغيرة سوف تستسلم وتكف عن البكاء. يمكنك أن تراهن على ذلك. ولسوف أتخلص من هذا العبء بشكل من الأشكال. والسؤال الوحيد هو: هل يبقون على مياه النوافير متدفقة حتى عندما ينهمر المطر؟

واصل السير صامتا, وصاحبته ماساكو مذعنة ,وقاسمته المظلة وهي لا تزال عاكفة على البكاء. لسوف يكون التخلص منها صعبا ,ولكن اصطحابها حيثما يريد سيكون على قدر كاف من السهولة واليسر.

ساوره الشعور بأن جسمه بأسره مبلل من جراء المطر والدموع. كانت ماساكو بعيدة عن الابتلال, وهي تنتعل حذاءها الأبيض طويل العنق. أما بالنسبة له هو الذي يرتدي حذاء شبيها بالموكاسان فإن جوربيه كانا يشبهان عشب البحر المبتل.

كان لا يزال هناك بعض الوقت قبل أن توصد كل المكاتب أبوابها. وكانت حركة المارة على الرصيف عشوائية ولا يشوبها التعجل. عبرا الشارع عند أحد التقاطعات, وسارا نحو جسر واداكورا المفضي إلى القصر.

وقف عند طرف الجسر بحواجزه وقوائم سياجه الزخرفية عتيقة الطراز, فاستطاع أن يرى عبر المطر طيور التم وهي تنزلق في مياه خندق القصر إلى يساره, وإلى اليمين عبر

الخندق صفوف المقاعد الحمراء ومفارش الموائد البيضاء الخاصة بقاعة طعام فندق القصر عبر زجاج النوافذ التي غبّشها المطر. اجتازا الجسر, ومرا بين أسوار حجرية سامقة, انعطفا يسارا, فأقبلا على حديقة ذات نوافير.

لم تنبس ماساكو ببنت شفة, وواصلت الانخراط في البكاء.

كانت هناك تعريشة كبيرة في مدخل الحديقة ذات سقف من البوص تتدلى من سقفها , وقدمت المقاعد الخشبية المنتشرة تحتها بعض الحماية من المطر. وهكذا جلس أكيو ومظلته لا تزال مرفوعة. جلست ماساكو مشيحة عنه إلى حد ما, و هي لا تزال تبكي, بحيث إن كل ما كان بوسعه رؤيته كان كتف معطفها الواقي من المطر ذي اللون الأبيض تحت أنفها وشعرها المبتل. تناثرت قطيرات رقيقة بيضاء يقاومها مرهم عطري على شعرها. وبدا لأكيو أن ماساكو الباكية قد تهاوت, بعينين ذاهلتين, في غمار نوع من الغيبوبة, وأحس فجأة بدافع قوي يحدوه إلى أن يجتذب ذلك الشعر وأن يعيدها إلى رشدها.

استمر نشيج ماساكو. وبدا جليا له أنها تنتظر منه أن يقول لها شيئا ما. وقد كانت هذه المعرفة هي على وجه الدقة التي أثارت غيظه, وحالت بينه وبين الحديث. وخطرت له خاطرة قوامها أنه لم يقل شيئا على الإطلاق منذ أن تفوه بإعلانه الموجز.

في البعيد, مضت النوافير تنثر المياه بقوة في الهواء, لكن ماساكو لم تلحظها. من حيث جلس هذا الثنائي بدت ثلاث نوافير مختلفة الأحجام كأنما كل منها تعلو الأخرى. كان خرير الماء الذي أغرقه انهمار المطر خافتا وبعيدا. انطلقت دفقات من الماء في كل الاتجاهات, فبدت للدنيا بأسرها مثل أنابيب زجاجية ملتوية, فيما الرذاذ يفقد تحدده لدى النظر إليه من بعيد.

لم تكن العين لتقع على أحد في أي اتجاه. بدت خضرة العشب على هذا الجانب من النوافير والسياج المتخذ من قضبان مضفرة مع الأغصان والقصب والذي يعلوه نبات الأزالية مثقلا بالمطر ومتوهجا بالحيوية.

غير أنه على الجانب الآخر من الحديقة كانت أوعية الشاحنات وأسقف الحافلات حمراء, بيضاء, صفراء, تنطلق جيئة وذهابا بلا انتهاء. وكان بمقدوره أن يرى بوضوح الضوء الأحمر عند تقاطع الطرق, ولكن عندما التمع الضوء الأخضر تحته اختفى مباشرة وراء رذاذ ناثرات الماء في النوافير.

جلس الفتى هناك, موغلا في الصمت, وقد دهمه حنق يفوق الوصف, فالطرفة التي كانت

مسلية بالنسبة له قبل لحظات تبدد. لم يكن على يقين من طبيعة ما ينصب عليه غضبه, فقبل وقت جد قصير كان يستمتع بشعور محلق عاليا بأنه لا يقهر. أما الآن فإنه يستهجن فشلا يستعصي على التحديد. ولم يكن عدم التخلص من ماساكو التي لا تكف عن البكاء يشكل فشله بأسره.

كانت خواطره التي تدور حولها متعالية كعهدها.(لو أنني كانت لي رغبة في ذلك لدفعتها إلى بركة النافورة, وتراجعت مسرعا, ولانتهى الأمر عند هذا الحد)، غير أنه إذ ووجه بهذا المطر الذي لف نفسه حوله, بهذه الدموع, وبهذه السماء التي ملأها المطر حتى غدت شبيهة بسور, فإن إحساسه بالفشل كان مطلقا, فأطبق عليه بعشرة أمثال قوته, وحول حريته إلى شيء بلا جدوى على الاطلاق.

غدا الشاب الغاضب الآن شكسا ومتذمرا فحسب إلى أبعد الحدود, ولن يساوره الشعور بالرضا الا بعد أن يجعل ماساكو تتبلل في المطر ويملأ عينيها بمرأى النوافير.

نهض واقفا فجأة, وانطلق يعدو من دون أن يلقي نظرة إلى الوراء ,وراح يجري مسرعا على امتداد الممر الحصبائي المرتفع الذي يحيط بالممشى الملتف حول النوافير, وتوقف عند الموضع الذي يمكنه منه أن يشاهد النوافير بكاملها.

أقبلت الفتاة تعدو عبر المطر. ولم يكن بمقدورها إلا بالكاد أن تتوقف من دون أن ترتطم به, وتشبثت بمقبض المظلة التي كان يرفعها عاليا .وبدا محياها الذي بلله المطر والدموع في بياض الطباشير, وتلاحقت أنفاسها.

- إلى أين تمضي؟

ربما لم يكن من المتوقع أن يرد عليها, لكن الكلمات صدرت عنه متدافعة, كأنما كان ينتظر في شغف هذا السؤال منها.

- لسوف تنظرين إلى النوافير. انظري إليها, إنك لست ندا لها مهما حاولت!

عندئذ راحا, وقد مالت المظلة جانبا وغمرهما السلام الذهني النابع من عدم اضطرار أحدهما للنظر في عيني الآخر, يحدقان في النوافير الثلاث, وقد بدت الوسطى أكبر على نحو ملحوظ من الاثنتين المحيطتين بها, اللتين كانتا أصغر إلى حد ما, مثل تمثالين للبوذيساتفا يحيطان بتمثال لبوذا.

لأن النوافير والبركة كانت في اضطرام مستمر, فقد كان من المستحيل على وجه التقريب رؤية المطر المنهمر وهو يتساقط بالفعل في الماء. وكان كل ما بمقدورهما سماعه وهما واقفان

هناك, وعلى نحو ملغز, هدير السيارات البعيد بين الفينة والأخرى الذي ينطلق في نوبات متباعدة, ولأن خرير الماء في النوافير كان متداخلا على نحو بالغ الرهافة في الهواء , فقد بدا الأمر على وجه التقريب كما لو أنه محبوس بإحكام في تضاعيف صمت تام, على الرغم من أنك يمكنك سماعه إذا أصخت السمع.

انبثق الماء أولا خفيفا, وتناثر في الحوض الجرانيتي الأسود الهائل, وإذ يتجاوز الحافة السوداء, فإنه يتساقط في نمط نثاري متباعد.

انبثق نبع عملاق من الماء مندفعا عاليا من وسط الحوض في حماية ست انبجاسات طويلة مقوسة من الماء المتدفق على نحو متألق.

وإذ راح الفتى يرقب المشهد بعناية, فقد كان بمقدوره أن يرى أن انبثاق الماء لم يحتفظ بارتفاع مستمر وثابت. لم تكن هناك رياح بصورة عملية, ولذا فقد اندفع الماء عاليا ومباشرة من دون أن يؤثر عليه شيء نحو السماء الرمادية المتخمة بالمطر. غير أن ذلك لم يعن أن قمة الماء كانت على الارتفاع نفسه على الدوام, ففي بعض الأحيان كانت اندفاعة من الماء تنطلق عاليا من دون توقع ,متناثرة إلى قطيرات عند ذروتها ومتهاوية إلى البركة. حجب الماء قرب القمة السماء المتخمة بالمطر والمحتجبة هونا وراءه, وإذ بدت المياه حبلى بالانعكاس, فقد اتخذت مسحة رمادية مبيضة, جعلتها أقرب إلى الذرور منها إلى المياه عند هامشها. وحوالي رذاذ الماء المندفع تراقصت جزيئات في حجم ندف الثلج البيضاء متألقة, وبدت أمام الدنيا بأسرها شبيهة بعاصفة من الثلج والمطر.

غير أن أكيو لم تفتنه الانبجاسات الرئيسية الصادرة عن النوافير بقدر ما فتنه مشهد الماء حولها وهو يرسم أقواسا فيما هو يندفع في أنصاف أقطار تشبه الشعاع. هزت تلك الأقواس المنبعثة بصفة خاصة من النافورة الكبرى في الوسط معرفتها البيضاء المائية في كل الاتجاهات, وتقافزت عاليا عبر الحافة الجرانيتية السوداء, رافعة نفسها على نحو بطولي وبلا هوادة فوق سطح البركة.

مضى يرقب اندفاع الماء المختلط الذي لا يتوقف, وقد أوشك فؤاده على الضياع في هذا الاندفاع. هذا القلب الذي كان مستقرا في أمان بين ضلوعه فتنه الماء قبل أن يحيط بذلك علما, واعتلى تلك الاندفاعات المائية ,وأرسل محلقا عبر الهواء.

كانت استجابته هي ذاتها عندما تطلع إلى أعمدة الماء.

عند النظرة الأولى, بدت كل انبجاسة كبيرة ساكنة على وجه التقريب كنموذج صلصالي صيغ

من ماء, ولم تكن هناك ذرة واحدة في غير موضعها, غير أن نظرة فاحصة كشفت روح الحركة النقية المندفعة عاليا بلا انتهاء في داخل العمود, وقد ملأت الفراغ الاسطواني بسرعة محمومة, حيث تبدأ من القاعدة وتعوض في التو أي نقص, وتحافظ بصورة مستمرة على هذا الإشباع. وكان يعرف أن سموق السماء سيحبطها, ولكن كم هو رائع دأب القوة التي تبقي على هذا الإحباط المستمر!

لقد أحضر الفتى الفتاة إلى هنا ليريها النوافير, ولكنه هو الذي سمره الصوت في موضعه تماما ووجده رائعا للغاية, وفيما ذلك يحدث اجتذبت عيناه إلى مستوى أعلى, إلى السماء التي كان المطر يهمي منها.

ابتلت جفونه بالمطر.

حجبت سحب كثيفة فوقه مباشرة السماء عن عينيه, وتواصل انهمار المطر الغزير بلا توقف. كان المطر في كل مكان, وبعيدا إلى أقصى ما يمكن للبصر أن يبلغه. وكان المطر على وجهه هو نفسه تماما المطر على أسطح البنايات القرميدية والفندق البعيد. وكان وجهه المتألق الذي كانت لحيته لا تزال خفيفة بعد والأرضيات الأسمنتية الخشنة التي تعلو الأسقف المهجورة للبنايات في كل مكان ما بعيدا ,كل ذلك لا يعدو أن يكون سطوحا لا تبدي مقاومة تعرضت للمطر نفسه. وتحت المطر, على الأقل, كانت وجنتاه والأرضيات المتسخة للأسطح تبدو كما لو كانت قطعة واحدة.

اكتسحت صورة النوافير الماثلة أمام أكيو وعيه بقوة. ولم يعد بمقدوره الآن إلا التفكير في نوافير المطر باعتبارها تكرر مرارا وتكرارا نوعا من اللاجدوى التافهة.

عندما طرأت هذه الخاطرة على باله, نسي الطرفة السابقة والغضب الذي أعقبها, وأحس بأن فؤاده يفرغ مما فيه على نحو سريع.

وحده المطر تساقط على فؤاده الخاوي.

شرع الفتى في السير, ضائعا في أفكاره.

- إلى أين تمضي؟

قالتها الفتاة متسائلة, وحذت حذوه بقدميها اللتين تنتعلان الحذاء الأبيض طويل العنق, وفي هذه المرة تشبثت في إحكام بمقبض الشمسية.

- إلى أين أمضي هو شأن يخصني وحدي. لقد أوضحت ذلك في وقت سابق. أليس كذلك؟ تساءلت:

- ماذا تعني؟

تطلع الفتى إلى محيا من تشاركه الحديث, وقد سيطرت جفوة على فؤاده. كان محياها غارقا بالماء, لكن المطر غسل دموعها, وعلى الرغم من أن آثار الدموع بقيت في عينيها المحمرتين, المبتلتين, فإن الصوت لم يعد يرتجف.

-ما الذي أعنيه؟ لقد أوضحت ذلك في وقت سابق. أليس كذلك؟ قلت لك إن الأمر انتهى.

فيما وراء الملمح الجانبي لوجهها وهو يتحرك عبر المطر, أصبح بمقدور الفتى الآن أن يشاهد الأزاليا القرمزية الصغيرة وهي تزدهر بعنفوان هنا وهناك على العشب.

- حقا؟ هل قلت ذلك؟ لم أسمعك.

انطلق حديثها بلهجة عادية.

أوشكت الصدمة أن تلقي بالفتى أرضا. وبعد أن خطا خطوات عديدة متعثرة, واتاه الاحتجاج أخيرا.

قال متلعثما: ولكن... عندئذ.. لم كنت تبكين؟ كيف تفسرين ذلك؟

لزمت الفتاة الصمت برهة, ويدها الصغيرة المبتلة لا تزال على تشبثها بمقبض المظلة.

- تدفقت الدموع فحسب. لم يكن هناك سبب.

استبد الحنق بالفتى, وأوشك أن يصرخ بها معبرا عن شيء ما عندما أفسح الصوت المجال لعطسة هائلة مفاجئة. وخطر بباله أنه سيصاب بالبرد إن لم يخرج من هذا المطر.

القماط

ترجمة : خلف سرحان القرشي

كان زوج توشيكو دائم الانشغال، حتى في هذه الليلة، هبَّ مسرعاً للحاق بموعد لديه، تاركاً إياها تعود وحدها إلى المنزل بسيارة أجرة. ولكن ماذا تتوقع امرأة تزوجت ممثلاً جذابا؟ لا شك أنه من الحمق أن تأمل في أن يقضي السهرة معها، رغم علمه بخوفها من العودة إلى ذلك المنزل الموحش بأثاثه الغربي وبقع الدم التي مازالت ظاهرة على الأرض.

لقد كانت توشيكو شديدة الحساسية منذ صباها، تلك كانت طبيعتها التي أكسبتها قلقا مستمرا جعلها نحيلة على الدوام. وحين غدت امرأة ناضجة، أصبحت أقرب إلى ملاك منها إلى مخلوق من لحم ودم. لقد كانت رقة روحها واضحة حتى للمعارف العابرين.

في وقت مبكر من مساء ذلك اليوم، وعندما انضمت إلى زوجها في النادي الليلي، صُدمت عندما وجدته يرفِّه عن أصدقائه بوصف الحادثة المروعة التي جرت أحداثها في منزلهم !

كان جالسا هناك مرتديا بدلته ذات الطراز الأمريكي، ينفث أنفاسا من سيجارته. بدا لها غريبا تقريبا.

"إنها قصة رائعة"، كان يقول ذلك، وهو يشير متوهجا بيديه، بدا وكأنه يحاول سحب البساط من فرقة الرقص التي كانت مستحوذة على انتباه رواد النادي: "اسمعوا، مربية طفلنا الجديدة هذه جئنا بها من إحدى وكالات التوظيف، أول شيء لفت نظري فيها بطنها؛ كان كبيرا بشكل ملحوظ وكأنها أدخلت وسادة تحت ثوبها (الكيمونو). قلت في نفسي: لا غرابة في ذلك لأني لاحظت أن مقدار ما تأكله بمفردها أكثر مما نأكله نحن مجتمعين. كانت تمسح ما يتبقى في طبق الأرز هكذا ! " وفرقع بأصابعه، مردفا: "التوسع المعوي ... هذا ما بررت به كثرة أكلها وانفتاح شهيتها. حسنا. قبل يومين سمعنا

تأوهات وأنات من غرفة نوم الطفل. هرعنا إلى هناك، وجدنا المربية مقرفصة على الأرض، ممسكة ببطنها بكلتا يديها، أنينها كان متواصلا وكأنه خوار بقرة. بجانبها طفلنا الرضيع ملقى في مهده وقد استبد به الخوف. كان يبكي بشدة. أيُّ مشهد جميل يمكنني أن أصفه لكم"!

وهنا قال أحد أصدقائه وهو ممثل سينمائي مثله:

–"هاه . لا بد وأن تظهر الحقيقة"!

–" هذا ما حدث فعلا. الأمر الذي أصابني بصدمة ستظل ملازمة لي ما حييت! أرأيتم . لقد بلعت على مضض حكاية (التوسع المعوي) تلك. حسنا ... لم أضع الوقت سدى. ذهبت لإنقاذ سجادتنا الثمينة ورفعها عن الأرض، وفرشت للمربية بدلا منها بطانية لتتمدد عليها. واصلت البنت الصياح طوال الوقت وكأنها خنزير محصور. وما إن وصل الطبيب، حتى كان طفلها قد أبصر النور، أما غرفتنا فكانت في حالة من الفوضى الخلاقة!

–" حقا. ومن يشك في ذلك!" قالها ساخرا أحد أصدقائه، وانفجر بعدها الجميع ضاحكين.

صعقت توشيكو وهي تسمع زوجها يروي الحادثة المرعبة بهذا الشكل الهزلي وكأنها مجرد حدث مسلٍ قُدّر لهما مصادفةً مشاهدتُه. أغمضت عينيها لبرهة. كل ما شاهدته حينها ذلك الطفل ملقى أمامها على الأرضية، وقد لُفْ جسمه الهش في ورق صحف ملطخ بالدماء. توشيكو متأكدة من أن الطبيب قام بذلك نتيجة احتقاره تلك المرأة التي ولدت سفاحا وتحت ظروف قذرة. لقد طلب من مساعدته أن تلف الطفل في قماط من ورق الصحف المستعملة عوضا عن لفه في قماط مناسب كسائر الأطفال .

تألمت توشيكو من هذه المعاملة المهينة للطفل، لكنها تغلبت على شعورها بالاشمئزاز من المشهد كاملا ، وذهبت لتحضر من خزانة الملابس قطعة قماش جديدة من الفانيلا، وقَمَطَتْ بها الطفل ووضعته بكل عناية في مقعد للأطفال.

قامت بكل ذلك مساءً بعد أن غادر زوجها المنزل. لم تخبره بشيء خوفا من أن يتهمها بالحساسية المفرطة، رغم أن المشهد قد نقش نفسه في أعماقها. جلست الليلة صامتة تعيد التفكير في ما حدث ثانية، بينما كانت فرقة (الجاز) تعزف بصخب بعض مقطوعاتها، وزوجها يتحدث بابتهاج مع أصدقائه.

كانت واثقة من أنها لن تنسى ذلك المشهد... مشهد الطفل ملفوفا في قماط من ورق ملطخ بالدماء وهو ملقى على الأرض. إنه مشهد يناسب محل قصاب. توشيكو التي قضت حياتها في راحة تامة، تملكها الحزن لمعاناة الطفل المولود سفاحا. جالت ببالها فكرة أنها هي

الشخص الوحيد الذي قُدّر له مشاهدة عار ذلك الطفل، فأمه لم يتسن لها رؤيته مرميا في قماطه الورقي، والطفل نفسه لا يدرك شيئا عن وضعه. شرعت تحدث نفسها: "أنا وحدي من سيحفظ هذا المشهد المريع في ذاكرته. عندما يكبر الطفل ويريد أن يعرف قصة ميلاده لن يكون بوسع أحدٍ أن يخبره الحقيقة غيري. وطالما أني آثرت الصمت فلن يعرف المسكين شيئا. كم هو غريب حقا أن تتملكني هذه المشاعر ويكتنفني الإحساس بالذنب رغم أني أنا التي التقطته من على الأرض ولففته في قماط من قماش مناسب ووضعته في كرسي ملائم لينام فيه."

غادرت توشيكو وزوجها النادي الليلي، صعدت سيارة الأجرة، بعد أن قال للسائق: "أوصل السيدة إلى يوشيجوم". وأغلق الباب.

توشيكو حدقت من خلال نافذة السيارة في وجه زوجها المبتسم، لاحظت أسنانه البيضاء القوية. وما لبثت أن أسندت ظهرها على المقعد، واستحوذت عليها فكرة أن حياتهما معا تسير مملة وليس فيها ما يثير.

كان من الصعب عليها، أن ترتب أفكارها في كلمات. وعبر نافذة السيارة الخلفية، ألقت نظرة أخيرة على زوجها، يحث الخطى عابرا الشارع باتجاه سيارته. ورأت معطفه (التويد) حتى ذاب بين العابرين.

واصلت السيارة انطلاقها، قاطعة شارعا به عدة حانات، ثم مرت بمحاذاة مسرح أمامه حشود من الجماهير يدفع بعضها بعضا من شدة الازدحام. كان العرض قد انتهى للتو، وقد أطفئت الأضواء. وزاد في كآبتها منظر أزهار التوت التي تزين واجهة المسرح وقد أضحت مجرد أوراق بيضاء تتساقط.

قالت توشيكو وهي تلاحق قطار أفكارها: "... وحتى لو عاش ذلك الطفل جاهلا أو متجاهلا لسر ولادته، فإنه بالتأكيد لن يصبح مواطنا محترما... تلك الصحف البيضاء الملطخة بالدماء التي قُمطِ بها، ستكون شعارا لحياته... لكن لماذا أنا قلقة بشأنه لهذا الحد؟ هل لأني أشعر بقلق على مستقبل ابني... بعد أقل من عشرين عاما من الآن، عندما يكبر ابننا ويصبح شابا متعلما بشكل جيد، فإنه في يوم من الأيام وبمصادفة قدرية سيلتقي بذلك الولد الذي سيكون هو الآخر حينها في العشرين من عمره أيضا، وقد يطعنه بوحشية بسكين في خاصرته."

كان الجو دافئا، إنها ليلة معتمة من ليالي إبريل، غير أن التفكير في المستقبل جعل توشيكو تشعر بالبرد حد الارتعاش ناهيك عن شعورها بالبؤس، واصلت التفكير : "...لا. عندما يحين ذلك الوقت، سأقوم بدور ابني. سآخذ مكانه... عشرون عاما من الآن... سأكون عندها في الثالثة والأربعين... سأذهب لذلك الشاب. سأخبره مباشرة بكل شيء؛ عن قماطه ذاك وعن قيامي بإحضار قماط مناسب من قماش الفانيلا ولفّه به."

غاصت سيارة الأجرة في طريق واسع مظلم بمحاذاة حديقة القصر الإمبراطوري وخندقه المائي. وعلى بعد أبصرت توشيكو بصيصا من النور يأتي من كتل المباني الطويلة التي تضم مكاتب الأعمال.

واصلت منولوجها الذهني: "... عشرون عاما من الآن، سيكون ذلك الطفل التعيس في بؤس تام، سيكون بمفرده، محطما جائعا مثل جرذ وحيد. نعم هكذا ستكون حياته، وما الذي يمكن أن يحدث لطفل ولد على هذه الشاكلة، غير هذا؟ سيهيم في الشوارع لاعنا أباه محتقرا أمه"

وجدت توشيكو بعض راحة في تفكيرها المؤلم هذا، فواصلت تعذيب نفسها بتلك الأفكار. اقتربت السيارة من حي هانزومون، وسارت بمحاذاة مبنى السفارة البريطانية. عند تلك النقطة، كانت صفوف أشجار التوت تنتشر أمام توشيكو بكل صفائها . فقررت فجأة مشاهدة الزهور عن كثب في هذه الليلة الظلماء . كان قرارا غريبا لامرأة شابة خجول لم يعرف عنها حبها للمغامرة، ولكنها كانت في حالة عقلية غريبة، إضافة إلى أنها خائفة من العودة للبيت. لقد ساورتها في تلك الليلة كل الهواجس المزعجة وسرت في عقلها سريان النار في الهشيم.

عبرت الشارع الواسع، جسدا ناحلا وحيدا، معزولة لا تكاد ترى في ذلك الظلام، وهي من اعتادت أن تتشبث بيد مرافقها عندما كانت تسير في الزحام، غير أنها الليلة اندفعت وحيدة بين السيارات لتجد نفسها بعد برهة في الحديقة الضيقة الطويلة التي تحيط بالخندق المائي التي تدعى شيدور يجافيتي أي مسقط الألف طير. في هذا الليلة كانت الحديقة أشبه ببستان مليء بأشجار توت متفتحة، كونت كتلا من البياض الصلب تحت تلك السماء الغائمة الهادئة. الفوانيس الورقية المعلقة بين الأشجار قد أطفئت تماما، وحلت محلها مصابيح إضاءة الكترونية حمراء وصفراء وخضراء تشع بأضواء خافتة تحت الأزهار .

الوقت بعد العاشرة ليلا، معظم من يأتون لمشاهدة الزهور غادروا الحديقة الآن. يركل بعضهم في طريقه بعض الزجاجات الفارغة الملقاة على جنبات الممرات، أو يدوسون الورق المستعمل المتناثر هنا وهناك.

عاد التفكير بالطفل، إلى الصحف وإلى ذلك الحدث. نعم الأوراق الملطخة بالدماء، وحدثت نفسها: "لو أن الرجل سمع ذات مرة عن ميلاده البائس وعلم أنه هو من كان ملقى هناك فإن ذلك سيدمر حياته برمتها ... طالما أني فكرت بهذا الشكل، فيجب إذاً أن احتفظ بالسر الخطير؛ سر وجود رجل بكامله"

وبينما هي تائهة في هذه الأفكار، واصلت توشيكو المشي في الحديقة. معظم الناس الذين ما زالوا هناك، هم العشاق. لم يعرها أحد اهتماما. لاحظت شخصين يجلسان على المقعد الحجري بجانب الخندق المائي، لم يكونا ينظران إلى الزهور. كانا صامتين، يحدقان في الماء الذي بدا أسود قاتما وكأنه متصل بظلال الليل الكثيفة. تلي الخندق غابة القصر الإمبراطوري المتجمدة والتي حالت بينها وبين امتداد مجال الرؤية، الأشجار تمتد برؤوسها شامخة إلى الأعالي لتشكل كتلا صلبة من الظلام تكاد تعانق السماء التي أرخى الليل عليها سدوله.

وببطء مشت توشيكو على امتداد الممر تحت الأزهار الكثيفة فوقها .

وهناك وعلى مقعد حجري، بعيدا عن المقاعد الأخرى، لاحظت شيئا شاحبا، لم يكن ما ظنته لأول وهلة مجرد كومة من زهور التوت أو قطعة ملابس نسيها أحدهم. عندما اقتربت منه أكثر تبين لها أنه إنسان ممدد على المقعد. تساءلت: "أيكون أحد البائسين المسرفين في الشراب الذين يشاهدون عادة في الأماكن العامة؟" حتما لا. لأن الجسم مغطى بكمية من ورق الصحف بشكل مقصود. وبياض ورق الصحف هو ما شدَّ انتباه توشيكو. وقفت على مقربة من المقعد تحملق في ذلك الجسم النائم؛ إنه رجل يرتدي كنزة بنية اللون، ملتف في طبقات من ورق الصحف وقد غطى بها جسمه أيضا.. ليس ثمة شك أن هذا المكان هو مكان إقامته الليلي المعتاد منذ أن أقبل الربيع. حدقت توشيكو في شعره القذر الفوضوي الذي جدلت بعض أجزائه بطريقة بائسة. وبينما هي تتأمل هيئته نائما على تلك الحال، ملفوفا ومغطى بورق الصحف، تذكرت منظر الطفل الذي كان ملقى على الأرض في قماطه الورقي البائس. وفي ذات اللحظة، ارتفعت كتف كنزة الرجل النائم قليلا وهوت في ذلك الظلام بينما هو يتنفس بعمق .

بدا لتوشيكو أن كل مخاوفها وهواجسها فجأة قد أخذت شكلا ملموسا. برزت في الظلام الدامس جبهة الرجل الشاحبة. كانت جبهة صغيرة مملوءة بتجاعيد الفاقة المزمنة والشقاء الدائم.

بنطاله (الكاكي) قد ارتفع قليلا عن قدميه اللتين كانتا بلا جوارب داخل حذاء رياضي قديم. لم تتمكن من رؤية وجهه، فتملكتها فجأة رغبة لا تقاوم في ذلك. مشت مقتربة أكثر من رأس المقعد. نظرت إلى الأسفل. رأت أن نصف رأس الرجل مغطى بذراعيه. غير أنها استطاعت أن ترى أنه – ويا لدهشتها – شاب في مقتبل العمر.لاحظت حاجبيه السميكين وجسر أنفه الرفيع. فمه كان مفتوحا قليلا ومفعما بحيوية الشباب. اقتربت توشيكو أكثر. وفي هدأه سكون الليل، صدر صوت من جراء حفيف سرير الورق. فجأة فتح الرجل عينيه ورأى المرأة الشابة تقف أمامه وجها لوجه. رفع نفسه بقفزة مباغتة، وقدحت عيناه، ومدّ يده القوية لتقبض على رسغ المرأة الواهن. لم تشعر بذرة خوف. لم تأت بأي حركة لتحرر نفسها من قبضته. وفي لمح البصر ضربتها الفكرة: آه. إذن. فقد انقضت العشرون عاما.

السكون يلف غابة القصر الإمبراطوري التي كانت معتمة تماما.

حب راهب معبد شيغا البوذي

ترجمة : ميسرة عفيفي

أعتقد أنه لا مفر من أن أتقبل أي لوم أو عتاب بسبب كتابة هذه الحكاية بدون تجهيز وبدون أن أبذل أي جهد في البحث التاريخي حولها. الشيء الوحيد الذي اعتمدتُ عليه حتى الآن، هو الوصف الأسطوري المذكور في المجلد السابع والثلاثين، من كتاب 'تايهيه كي' الأدبي المكتوب في القرن الرابع عشر، وفيه كما يعلم الجميع، مجرد ذكر سريع مختصر لحب راهب معبد شيغا في بلادنا مقارنة بحادثة 'إيكّاكو سِن نين' في الهند.

أنا في الواقع كنت أهتم بهذه الحقيقة النفسية البسيطة أكثر من اهتمامي بأحداث ذلك الحب ذي الطبيعة الخاصة. القصة هنا تتعلق بصراع الحب مع الإيمان. هناك الكثير من أمثلة ذلك الصراع في الغرب، ولكنه موضوع نادر في اليابان. تتدخل قضية الحياة الآخرة، بوضوح في سبب الحب. ليس فقط بالنسبة للراهب بل كذلك في داخل قلب المرأة المحبوبة، يوجد صراع بين الحياة الآخرة وهذه الدنيا على احتلال ذلك القلب، وإذا تحدثنا بمبالغة في القول، فقد يصل إلى حد انهيار البناء الفكري الذي يحمله كليهما عن العالم، في تلك اللحظة المحورية تتأسس معالم قصة هذا الحب. في الواقع كانت عقيدة 'الأرض الطاهرة'، التي ازدهرت منذ منتصف عصر هييآن [القرن العاشر الميلادي]، اكتشاف عملاق لعالم الفكر أكثر منها عقيدة دينية على وجه التحديد.

طبقا للراهب الكبير إيشين في كتاب 'أساسيات الخلاص': المتع العشرة ليست سوى قطرة في محيط بالمقارنة مع مباهج الأرض الطاهرة. والمتع العشر هي: متعة استقبال بوذا، ومتعة تفتح زهرة اللوتس للمرة الأولى، ومتعة الحصول على قدرات إلهية خارقة، ومتعة

الحصول على الحواس الخمس مع الجمال الفائق، ومتعة الحصول على متع لا نهائية، ومتعة مصاحبة الأهل والأقرباء في النعيم، ومتعة الوجود الدائم مع بوذا، ومتعة مقابلة بوذا والاستماع إلى وعظه، ومتعة تقديم العطايا إلى أشكال بوذا المختلفة بشكل كامل ومتكامل، وأخيرة متعة التقدم في طريق الاستنارة والإشراق، تلك هي المتع العشر. أما الأرض الطاهرة ففيها جعلت الأرضية من اللازورد. وطرق الأرض الطاهرة مصنوعة من شبكة أحبالها من الذهب. وسطح الأرضية لا نهائي ومستوى في كل مكان منه. وتوجد داخل كل حرم مقدس خمسون مليار برج عالي مصنوع من الجواهر السبع: الذهب والفضة واللازورد والبلّور والمرجان والعقيق واللؤلؤ، وتمتد أقمشة مدهشة على جميع المنصات المرصعة بالجواهر. فوق الأبراج العالية عدد وافر من الملائكة يعزفون الموسيقى ويغنون أناشيد مقدسة تعظّم بوذا على الدوام. توجد بحيرات للاغتسال في الحدائق التي تحيط بالقاعات والأديرة والقصور والأبراج، يوجد في قاع البحيرة الذهبية رمال فضية ويوجد في قاع البحيرة اللازوردية رمال بلّورية. وغُطي سطح البحيرات بنباتات اللوتس التي تتألق مشعة في ألوان متنوعة، مع هبوب النسيم على سطح الماء، تتحرك أشعة الأضواء الرائعة منتشرة في جميع الاتجاهات. يمتلىء الهواء ليلا ونهارا بأغاني طيور البط، والأوز، وبط الماندرين، والكركي، والطاووس، والببغاء، والكالافينكاس)طائر ذو صوت رخيم وله وجه امرأة جميلة)، كل هذا وغيره مئات من الطيور المرصعة بالجواهر، يغنّون بأصواتهم الرقيقة المُلحّنة في مدح بوذا. ولكن مهما كانت رقة الأصوات ولكن تجمع تلك التشكيلة من الطيور بهذا العدد اللا نهائي، لا بد وأن يكون في منتهى الإزعاج.

تصطف بساتين من أشجار للجواهر على حدود البحيرة وضفاف الأنهار. الجذوع الذهبية والفروع الفضية والزهور المرجانية، تنعكس على صفحة الماء اللامعة .تتعلق في الجو أحبال من الجواهر، وتلك الأحبال معلق بها كثير من أجراس من الجواهر، ويُسمَع كتاب بوذا المقدس، وآلات موسيقية عجيبة تعزف بمفردها دون أن يمسها مخلوق، وتُسمع بعيدا في الفراغ الهائل.

إذا شعر المرء برغبة في أكل شيء ما، يظهر أمام عينه تلقائيا طاولة مرصعة بالجواهر السبع ومجهزة بأوان مرصعة بالجواهر بالسبع وممتلئة على آخرها بما لذ وطاب من الأطعمة الشهية النادرة. ولكن ليست هناك حاجة لالتقاط هذه الأطعمة وأكلها. فقط مجرد

النظر إلى ألوانها والاستمتاع برائحتها، يجعل المعدة تمتلئ ويتغذى الجسم، في حين يبقى الشخص نقيا روحا وجسدا. عندما تنتهى الوجبة، بدون تناول أي طعام، تختفى الأواني والطاولة فجأة.

وبالمثل، الجسد يرتدي الملابس تلقائيا، دون أي حاجة لحياكة أو غسيل أو صباغة. المصابيح أيضا، غير ضرورية، فالأشعة المضيئة منتشرة في كل مكان. لا يوجد احتياج للتدفئة ولا للتبريد فدرجة حرارة معتدلة على مدار العام. تعطر الجو روائح جميلة بأنواع جمة، وتهطل أوراق زهرة اللوتس بلا انقطاع.

بالإضافة إلى ذلك يشرح كتاب 'أساسيات الخلاص' في فصل بوابة المراقبة، أن المبتدئين في المشاهدة والتأمل لا يمكن لهم التوغل عميقا، ولذا يجب عليهم أن يركزوا كل جهودهم أولا، في إيقاظ الخيال الخارجي، وبعد ذلك، في توسيع مداركه إلى ما لا نهاية. إن أقصر الطرق من أجل رؤية بوذا، هو الهروب من نطاق حياتنا الدنيوية بواسطة قوة الخيال. إذا كنا موهوبين بوفرة، بقوة خيال جامحة يمكننا إذن أن نركز اهتمامنا على زهرة لوتس واحدة ومنها ننتشر إلى آفاق لا نهائية.

عن طريق الملاحظة المجهرية والتقديرات الفلكية يمكن لزهرة اللوتس أن تصبح الأساس لنظرية كاملة للكون، وتصبح عاملا من الممكن من خلاله رؤية الحقيقة. أولا إن كل ورقة من أوراق الزهرة لها أربعة وثمانون ألف وريد، وكل وريد يخرج أربعة وثمانين ضوءا. وعلاوة على ذلك، يبلغ قطر الزهرة، حتى الأصغر منها، مائتين وخمسين يوجانا [وحدة قياس مسافات]. وبهذا، إذا التزمنا التفسير الذي يقول إن مسافة اليوجانا التي نقرأها في الكتابات المقدسة تساوي مائة وعشرين كيلو مترا لكل منها، نستنتج أن أصغر زهرة لوتس يبلغ قطرها ثلاثون ألف كيلو متر.

مثل تلك الزهرة لها أربع وثمانون ورقة وبين كل ورقة توجد عشرة مليارات جوهرة، كل جوهرة تشع ألف ضوء. فوق كأس الزهرة المُزين بجمال تعلو الزهرة أربعة أعمدة مرصعة بالجواهر وكل من هذه الأعمدة يبلغ مائة ألف تريليون مرة أكبر من حجم جبل سوميرو [الجبل العملاق الموجود في مركز الأرض]. تتدلى من الأعمدة ستائر كبيرة وتزين كل ستارة بخمسين مليار جوهرة، وكل جوهرة تشع أربعة وثمانين ألف ضوء، وكل ضوء يتكون من

أربعة وثمانين ألف لون ذهبي مختلف عن الآخر، وكل لون من تلك الألوان الذهبية بدوره له القدرة على تحوير نفسه بشكل مختلف.

التركيز في تلك الأفكار يُعرف باسم 'التفكير في مقعد اللوتس'، والعالم الفكري الذي يمتد في خلفية قصة الحب التالية هو عالم يملك حجما بهذه الدرجة.

كان الراهب العظيم لمعبد شيغا راهبا رفيع الأخلاق عاليها.

كانت حواجبه بيضاء، وجسده الذي بلغ الكبر مداه لا يستطيع أن يحمله إلا بالاعتماد على عصاه.

كانت هذه الدنيا لا تمثل في نظر هذا العالِم الزاهد إلا مجرد كومة من القمامة. شتلة الصنوبر الصغيرة التي كان قد زرعها بيديه قبل الانتقال للعيش في كوخه الحالي، قد نمت لتصبح شجرة عالية أطرافها الضخمة في السماء تحامل الريح. ويُعتقد أن من نجح في ترك هذه الدنيا لهذا الوقت الطويل ربما يكون قد تولد لديه إحساس بالأمان المطلق منها.

عندما يرى الأغنياء والنبلاء، يبتسم الراهب العظيم في شفقة ويتساءل كيف لهؤلاء الناس لا يدركون أن ملذاتهم هي أحلام فارغة. وإذا قابل امرأة جميلة كان رد فعله، فقط الشفقة على من هم في عالم الحيرة المتقلّب مُكبلين بالهوى.

من اللحظة التي أصبح فيها لا يحمل أي مشاعر توحد ولو قليلة مع الدوافع التي تحرك هذه الدنيا، أصبحت الدنيا في حالة توقف تام. في نظر الراهب العظيم لا يظهر العالم إلا مجرد صورة متوقفة على قطعة من الورق، مجرد ورقة تُظهر خريطة لدولة ما غريبة. حالة الزهد الكاملة تلك والبعد عن الشهوات تجعلك تنسى حتى حالة الخوف. ولا تفهم لماذا ينبغي لجهنم أن توجد. كان ضعف هذه الدنيا تجاهه أمر في منتهى الوضوح، ولكن لأنه لم يكن أبدا بالشخص المغرور فلم يكن يخطر له على بال أن ذلك بسبب أخلاقه هو العالية.

كان الراهب قد فقد جسده على الأغلب. كان يشعر بسعادة عندما يتأمل جسده أثناء الاستحمام مثلا، وقد أصبح عبارة عظام بارزة يغطيها جلد بالغ الذبول .إذا وصل الجسد

إلى تلك الحالة فيمكن التصالح معه كما لو كان جسد شخص آخر .ويُعتقد أن طعام وشراب الأرض الطاهرة أصبح بالفعل هو الأكثر ملائمة له.

إذا تكلمنا عن أحلامه في كل ليلة، فهو لم يعد يرى إلا أحلام الأرض الطاهرة. وعندما يستيقظ ويعلم أنه لا يزال مقيدا ومكبلا في أحلامه البائسة الفانية وأنه لا يزال يعيش في هذه الدنيا، يأسى ويحزن.

بحلول موسم الربيع، ومشاهدة أزهار الكرز، أصبح يأتي عدد كبير من الناس من العاصمة لزيارة قرية شيغا. إلا أن ذلك لم يزعج الراهب بأي حال. لأنه أصبح في حالة روحية لا يمكن أن تضطرب أو تهتز بسبب هؤلاء الزوار. خرج الراهب من كوخه متكئا على عصاه، وذهب إلى ضفاف البحيرة. كان الوقت قد بدأت فيه أشعة شمس الغروب تتسلل أخيرا بعد عصر اليوم، وكانت موجات البحيرة هادئة تماما. وقف الراهب بمفرده على حافة البحيرة، وبدأ أداء طقوس تأمل المياه.

وقتها جاءت عربة بجوار شاطئ البحيرة تنتمي بوضوح لشخص نبيل من ذوي المنزلة العالية، وتوقفت على مقربة من مكان الراهب الواقف. صاحبة العربة كانت محظية جلالة الإمبراطور. كانت المحظية قد أتت لمشاهدة مناظر بلدة شيغا في فصل الربيع، والآن قد أوقفت العربة في طريق عودتها ورفعت ستائر النافذة من أجل إلقاء نظرة وداع أخيرة على البحيرة.

دون قصد نظر الراهب في اتجاهها، وعلى الفور جذبه ذلك الجمال. تلاقت عيناه بعينيها لفترة، ولم يحاول الراهب إبعاد نظره عنها، ولذا أصرت المحظية على أن لا تبعد نظرها بعيدا عنه. لم تكن بذلك الروح المتسامحة لكي ترضى بتلك النظرات الوقحة، ولكن لأن الطرف الآخر كان راهبا عجوزا قد بلغ منتهى الزهد والتعفف، فلقد ظلت لفترة تتشكك في معنى ذلك التحديق.

وفجأة أسدلت المحظية ستائر النافذة. وبدأت العربة في التحرك، وأخذت تبتعد في اتجاه الطريق التي تمر عبر سفوح الجبال في شيغا واصلة إلى العاصمة. على الأغلب ستدخل العربة العاصمة في الليل عبر المرور بطريق 'المعبد الفضي'. ظل الراهب العظيم واقفا مكانه ينظر إلى العربة حتى اختفاء ظلالها خلف الأشجار البعيدة.

لقد انتقمت الدنيا من الراهب العظيم بقوة مرعبة في طرفة عين. ما كان يظن أنه آمن تماما قد انهار وأصبح أطلالا.

عاد إلى كوخه وواجه تمثال بوذا الرئيسي، وحاول التضرع بأسمائه المقدسة .لكن أعاقته أفكار خيالية وهمية تقف بظلالها الغامضة أمامه. ذلك الجمال هو هيئة مؤقتة. هو ظاهرة لحظية للجسد الفاني بلا شك. كان يحاول إقناع نفسه بذلك، ولكن تلك القوة اللحظية التي خطفت قلب الراهب العظيم بذلك الجمال الذي لا يمكن التعبير عنه، جعلته يعتقد أنها قوة ما رهيبة ونادرة وأبدية .ومن جهة أخرى لم يكن الراهب العظيم شابا بمختلف المعاني بما يكفي، لكي يقنع نفسه أن هذا الانبهار هو مجرد خدعة قد لعبها عليه الجسد. فالجسد لا يمكن أن يتغير لحظيا بهذا الشكل. فالمنطقي هو الاعتقاد أنه سُقي سما غريبا بسرعة رهيبة، جعل الروح تتغير طبيعتها في هذا الوقت القصير.

لم يرتكب الراهب العظيم إثم اقتراب النساء قط. وكان صراعه في شبابه مع ذلك، جعله على العكس لا يرى في المرأة إلا وجودا جسديا فقط. كان الجسد النقي الحقيقي، هو الجسد الموجود في خياله فقط. نتيجة لذلك اعتمد الراهب العظيم على قوته الروحية من أجل أن يخضع الجسد الذي ليس إلا وجودا فكريا مجردا. في هذا الجهد حقق الراهب النجاح، ولا يوجد شخص واحد ممن يعرفون أفعاله حتى الآن يشك في ذلك النجاح.

ولكن وجه المرأة الذي طل من نافذة العربة ناظرا تجاه البحيرة كان ذا وجود في غاية التناغم والتألق المشع، ولم يكن الراهب يعرف ماذا يمكن أن يسميه. لم يكن أمامه إلا الاعتقاد أن شيئا ما ظل مختفيا بداخله لفترة طويلة خادعا إياه، قد ظهر له لكي يحقق تلك اللحظة النادرة ويجليها. ولم يكن هذا الشيء إلا هذه الدنيا ولا غيرها، تلك التي كانت ساكنة متوقفة فوق لوحة الورق قد قامت فجأة وبدأت في التحرك.

الأمر يشبه وكأنه يقف مثلا على طريق كبيرة في العاصمة تروح فيها العربات وتجيء وقد غطى أذنيه الاثنتين بيديه، وفجأة يرفع يديه من على أذنيه. ففي التو والحال تختلط وتمتزج الأصوات محدثة ضوضاء حوله.

لمْس متغيرات هذه الدنيا وسماع أصواتها، يعني أنك قد دخلت في دائرة تلك الدنيا. الشخص الذي قطع علاقاته تماما بكل شيء وأي شيء، عاد وقد أصبح له علاقة مرة أخرى بأحد الأشياء.

حتى عندما يقرأ الراهب العظيم في كتاب السوترا المقدس، كان في مرات عديدة يطلق تنهدات بائسة لا يقدر على كتمانها. كان يعتقد أن الطبيعة ربما تلهي قلبه، فكان يتأمل السحب في الجبال وقت الغروب، ولكن قلبه كان فقط يضطرب شكله في حيرة واندفاع مثله مثل السحاب. وعندما يشاهد الهلال، كان مشاعره مائلة بنفس اتجاه الهلال، وحتى عندما يتجه أمام تمثال بوذا الرئيسي محاولا تنقية قلبه، يجد أن أوهامه قد صورت له وبدا وكأنه وجه المحظية. كان عالمه قد سُجن داخل حدود دائرة صغيرة. كان الراهب العظيم يوجد في ناحية من الدائرة وكانت محظية الإمبراطور توجد في الناحية الأخرى.

سرعان ما نسيت محظية الإمبراطور أمر الراهب العجوز الذي ظل يحدق في وجهها بتركيز على ضفاف البحيرة في شيغا. وبعد مرور وقت قصير، وصلت شائعة إلى أذنيها وعندها تذكرت ذلك الأمر. أحد أبناء القرية الذي رأى منظر وقوف الراهب العظيم يودع بنظره عربة المحظية حتى اختفت عن الأنظار، ذكر ذلك الأمر إلى أحد رجال البلاط الإمبراطوري الذي جاء إلى شيغا لمشاهدة أزهار الكرز، وأضاف أنه منذ ذلك اليوم والراهب مضطرب وكأنه قد جُن.

بالطبع تظاهرت محظية الإمبراطور بعدم تصديق تلك الشائعة. ولكن لأن راهب معبد شيغا العظيم مشهور للغاية بأخلاقه العالية وفضائله، فإذا كانت الشائعة حقيقية فسوف يكون في تلك الحادثة ما يسهم في تغذية غرور المحظية. لأنها كانت سئمت تماما من المحبة التي تتلقاها من رجال هذا العالم العاديين.

كانت محظية الإمبراطور تدرك تماما جمالها، ومن عادة مثل هؤلاء الناس الميل إلى الانجذاب إلى أية قوة، تتعامل مع جمالها ومنزلتها العالية كأشياء لا قيمة لها. وبالتالي فقد كانت شديدة التدين. بسبب شعور الملل الشديد كانت تؤمن بعقيدة الأرض الطاهرة. تعاليم البوذية التي تكره هذه الدنيا الزاهية الجميلة وتبتعد عنها في زهد وتعفف لأنها تعتبرها

مدنسة، كانت بلا ريب تهوّن عليها ملل وتعب الحياة الفخمة المرفهة التي توحي بنهاية هذه الدنيا.

كانت محظية الإمبراطور تُمَجّد بين المخصصين في الحب والغرام على أنها تجسيد للنقاء والجمال داخل بلاط جلالة الإمبراطور. ولأن هذه السيدة النبيلة العظيمة لم يسبق لها الوقوع في حب أي من الرجال، فلقد كانت تستحق في الواقع ذلك التمجيد والتوقير. ولم يكن أحد ممن يعرفونها يعتقد ولو للحظة أنها تحب جلالة الإمبراطور من قلبها. كانت محظية الإمبراطور تعيش داخل أحلامها قصص حب تقع في الأغلب على حدود المستحيل.

كان راهب معبد شيغا يشتهر بأخلاقياته، وأنه قد بلغ من العمر ما بلغ .ويعرف الجميع في العاصمة أنه قد زهد تماما في هذه الدنيا. إذا كانت الشائعة حقيقية، يكون الراهب العظيم قد وقع في الحيرة والضلال بسبب جمال وجه المحظية، ويكون قد ضحى بالحياة الآخرة فداء لها. لا يمكن أن تكون هناك تضحية أكبر من ذلك، ولا هدية أعظم من ذلك.

لم تكن محظية الإمبراطور يجذبها أفضل الرجال في القصر الإمبراطوري، ورغم ذلك أيضا، لم يحرك قلبها النبلاء الوسيمون من الشباب. أشكال الرجال لم تكن تعني لها شيئا. كان اهتمامها الوحيد هو مَن الذي يستطيع أن يحبها أقوى وأعمق ما يكون من حب.

امرأة تمتلك ذلك الطموح تكون كائنا مخيفا حقا. لو عاهرة، فسيكفيها أن تُعْطى ثروة من هذه الدنيا. ولكن محظية الإمبراطور تمتلك بالفعل كل ما يمكن تملكه من ثروات الدنيا، ولذا فقد كانت تنتظر الشخص الذي يقدم لها ثروات الآخرة.

انتشرت شائعة غرام راهب معبد شيغا في كل أركان البلاط الإمبراطوري، وتم إبلاغ القصة بنبرة شبه ساخرة إلى الإمبراطور نفسه. بالطبع لم تسعد المحظية بتلك السخرية، واحتفظت بموقف بارد غير مبال. لأنها تدرك جيدا، أن هناك سببين لأن يتحدث الجميع بحرية ساخرين من تلك المسألة، أولا أنهم يودون مدح جمال المحظية الباهر الذي أوقع في الحيرة والضلال حتى ذلك الراهب المشهور بأخلاقه الرفيعة لهذه الدرجة، وثانيا بسبب الإطمئنان الذي مبعثه أن الجميع يدرك تماما أنه من المحال أن يتحقق حب على أرض الواقع بين ذلك الرجل العجوز وهذه المرأة النبيلة.

استدعت محظية الإمبراطور إلى ذهنها وجه الراهب العجوز الذي رأته من نافذة عربتها، ولكنها لم تجد أي تشابه ولو من بعيد في وجهه مع أي من الرجال الذين وقعوا في حبها حتى ذلك الوقت. من العجيب أن ينبت الحب أيضا في قلب رجل ليس لديه أي مؤهل ليكون محبوبا. مقارنة بذلك تعتبر عبارة مثل 'حب بلا أمل' التي كثيرا ما تستخدم في الواقع في الأشعار في اللقاءات التي تقام في القصر الإمبراطوري من أجل استثارة شعور التعاطف، لم تكن في الأغلب إلا تمثيلا بائسا لشخص مغرور يدعي لنفسه قدرات أكبر من الحقيقة.

بحديثي حتى الآن أعتقد أنه أصبح واضحا أن محظية الإمبراطور لم تكن تجسيدا للفخامة العالية ولكنها إنسانة هوايتها العظمى أن تكون محبوبة .فكونها امرأة، مهما كانت امرأة نبيلة وذات منزلة عالية، فأي سلطة أو قوة تعطى لها بدون أن تكون محبوبة هي سلطة وقوة لا قيمة مهما كانت. أثناء ما كان الرجال يتصارعون حول السلطة السياسية، كانت تحلم بإخضاع العالم من خلال وسائل مختلفة، وسائل أنثوية خالصة. كانت تضحك استهزاءً من النساء اللائي يقمن بحلاقة شعرهن والدخول في الرهبنة. لأنه مهما كانت المرأة تتكلم عن التخلي عن العالم، فمن المستحيل أن تتخلى عن ما تملكه. الرجال فقط هم القادرون على التخلي عما يملكون في الواقع.

ذلك الراهب العجوز قد تخلى مرة في حياته عن هذه الدنيا وجميع متعها. لقد كان رجلا أكثر من رجال القصر من النبلاء. ثم أنه كما تخلى عن هذه الدنيا فهو على وشك التخلي عن الآخرة أيضا من أجلها.

تذكرت محظية الإمبراطور ذات الإيمان العميق أفكار زهرة اللوتس المقدسة .فكرت في زهرة لوتس ضخمة يبلغ حجمها مئتين وخمسين يوجانا. كانت زهرة اللوتس العملاقة بلا حدود تلك، توافق ذوقها أكثر بكثير من أزهار اللوتس الصغيرة التي تشاهد بالعين. فحتى لو استمعت إلى أصوات النسيم تمر عبر أشجار الحديقة الأمامية مثلا، ترى أنها بلا أي قيمة مقارنة بالموسيقى العجيبة التي يحدثها الريح من خلال أشجار الجواهر في الأرض الطاهرة. عندما تفكر في الآلات الموسيقية المعلقة في الهواء التي تعزف الموسيقى من تلقاء نفسها، لا ترى في أصوات أنواع الآلات الموسيقية مثلا القيثارة والقانون التي يتردد صداها حولها سوى تقليد تافه لها.

راهب معبد شيغا كان في صراع.

في معركته ضد الجسد في شبابه كان هناك أمل في ما سيحصل عليه في الآخرة .لكن هذه المعركة اليائسة بعد وصوله إلى تلك الشيخوخة والكبر، كانت مرتبطة بشعور بخسارة لا سبيل إلى تعويضها.

كان استحالة إكمال حبه لمحظية الإمبراطور واضحة له وضوح الشمس في السماء وبدون مجال لأية شكوك في ذلك. من ناحية أخرى كان واضحا تماما استحالة المضي قدما في السير تجاه الأرض الطاهرة طالما أنه لا يزال أسيرا لهذا الحب. الراهب العظيم الذي كان يعيش في حالة تحكم كامل في مشاعره لا يوجد له مثيلا في هذا العالم، في طرفة عين أصبح مصيره يلفه الغموض تماما. إذا كان الأمر كذلك فالشجاعة التي حارب بها معركة الشباب وانتصر فيها، ربما كانت قد تولدت من كبريائه وفخره أنه يمتنع بمحض إرادته الذاتية عن القيام بأفعال يمكنه فعلها بسهولة إذا رغب في ذلك.

تملك الرعب مرة أخرى من الراهب العظيم. فلقد انتبه إلى الظلام العميق لهذه الدنيا التي لا يعرف ماذا ينتظره منها لو تحرك خطوة واحدة إلى الأمام .فحتى وقت اقتراب تلك العربة الفاخرة من ضفاف بحيرة شيغا، كان يؤمن أن ما ينتظره في القريب العاجل هو الوصول إلى 'النيرفانا' ولا غيرها.

كانت مختلف أشكال التأمل الديني، من تأمل قاعدة اللوتس، والتأمل في مجمل الأشياء، والتأمل في الأجزاء، جميعها بلا فائدة. في كل مرة يبدأ فيها التأمل، يظهر أمام عينيه دائما وجه المحظية الجميل. وحاول كذلك تأمل مياه البحيرة ولكن كان أيضا عديم الفائدة. لأن وجه المحظية الجميل كان يهتز من تحت موجات البحيرة الخفيفة.

وبالطبع كخلاصة طبيعية، حاول الراهب العظيم بذل جهوده في جعل قلبه مبهما غير مستقر عن طريق تشتيته، لإدراكه أن التركيز لا ينفع قدر ما يضر. ولقد أدهشه أن التركيز في الواقع يؤدي على العكس إلى حيرة عميقة، ولذا لم يكن أمامه إلا محاولة فعل العكس، أي ليس أمامه إلا الاعتراف بوجود الحيرة .واعتقد أنه لما ينهزم القلب من ثقل الضغط عليه، يكون على العكس من الأسهل الهروب من محاولة الهروب من خلال تركيز أفكاره عمدا على وجه المحظية.

أحس الراهب العظيم بمتعة جديدة في تزيين شبح المحظية بطرق مختلفة كما يُزَيّن تمثال بوذا بالتيجان والأكاليل. لم يدر سبب إحساسه بالسعادة وهو يقوم بتلك الطريقة بجعل محبوبته ذات وجود أكثر عظمة وأكثر بعدا عنه وأكثر استحالة. أليس الطبيعي أن يرسم المحظية في خياله كجسد امرأة عادية قريبة منه؟ أليس بهذه الطريقة يحصل المحب على فائدة من حبه ولو على الأقل في داخل خياله فقط؟

كلما فكر بهذا الطريقة يجد الراهب العظيم أن ما يرسمه خياله للمحظية ليس مجرد جسد، ولا هو مجرد شبح خيالي. بل كان الراهب بكل تأكيد يرسم جوهرا حقيقيا وواقعيا. وكان من العجيب أن يبحث عن ذلك الجوهر في امرأة. الراهب ذو الأخلاق العالية، حتى مع وقوعه في الحب، لم يفقد خصلة التدريبات الدائمة في محاولة التقرب من الجوهر حتى ولو من خلال التجريد. أصبحت محظية الإمبراطور الآن متوحدة مع زهرة لوتس هائلة من مئتي وخمسين يوجانا. أصبحت وهي نائمة مستندة على عدد كبير من أزهار اللوتس، بحجم عملاق أكبر من جبل سوميرو، بل ومن الدولة بأكملها.

في الواقع أنه كلما حوّل الراهب العظيم حبه إلى شيء مستحيل، كلما كانت خيانته لبوذا أكثر عمقا. والسبب أن استحالة هذا الحب، يرتبط بشكل ما مع استحالة تحقيق الإشراق. كلما كان يعتقد أنه حب ميؤوس منه، كلما أصبحت الخيالات أكثر تأكيدا، وكلما أصبحت أفكاره الدنسة راسخة في أعماقه. إذا اعتقد أن حبه ممكنا، لربما على العكس يصبح من السهل تولّد اليأس منه، ولكن هذا الحب المستحيل أصبح راسخا عتيدا يغطى سطح الأرض مثل البحيرة الهائلة ولا تبدو أي بوادر لتزحزحه عن مكانه.

لقد تمنى رؤية وجه المحظية بطريقة ما مرة أخرى، لكنه كان يخشى عند لقاء ذلك الوجه الذي أصبح مثل زهرة لوتس عملاقة، أن ينهار دون أن يترك أثرا .انهياره بالتأكيد سينقذ الراهب العظيم. أجل، هذه المرة بالتأكيد يتحقق إشراقه. وهذا بالضبط ما يخشاه.

مثل هذا الحب المفعم بالوحدة وصل أخيرا إلى خداع الذات بنسج شبكة عجيبة من الحيل، وعندما وصل أخيرا إلى أخذ قرار الذهاب لمقابلة المحظية، أحس الراهب أن المرض العضال الذي كان يحرق جسده قد شفي تقريبا. فرحته الهائلة عند اتخاذ القرار، كانت لدرجة أن الراهب نفسه اعتقد خطأً أنها فرحة النجاة من قيود ذلك الحب.

لم يجد أحد ممن شاهد راهبا عجوزا بائسا يتكئ على عصا ويقف بصمت في ركن من أركان حديقة القصر الإمبراطوري للمحظية في ذلك أي شيء غريب. فلم يكون مشهد وقوف المتسولين والرهبان البوذيين أثناء جمعهم للصدقات داخل حدائق منازل النبلاء والكبراء بالأمر النادر.

أبلغت إحدى خادمات القصر ذلك الأمر إلى محظية الإمبراطور. نظرت محظية الإمبراطور بتوجس من خلال الستائر الخيزرانية. هناك خلف ظلال أوراق الشجر اليافعة كان الراهب العجوز الذي خارت قواه يقف محني الرأس. ظلت المحظية تنظر إليه فترة من الوقت. وعندما أدركت بدون أي شك أنه هو الراهب الذي قابلته على ضفاف البحيرة في شيغا، لم تستطع أن تمنع وجهها من تحول لونه إلى الشحوب.

وقعت المحظية في حالة من الحيرة والتردد. لم تعرف ما القرار المحتم اتخاذه، ولذا أمرت بتركه وشأنه كما هو. تلقت الخادمة الأمر واستجابت له.

تولد القلق في قلب المحظية. هذا القلق تولد الآن لأول مرة في قلبها.

كانت قد شهدت حتى الآن العديد من الناس الذين قد تخلوا عن متع هذه الدنيا، ولكنها لأول مرة ترى شخصا يترك الآخرة وراء ظهره ويأتيها. كان أمرا مشؤوما ومرعبا بشكل يفوق الوصف. لقد فقدت هذه السيدة النبيلة السعادة التي كان خيالها يرسمها لها مع حب الراهب. بفرض أن الراهب العظيم قد تنازل لها عن الحياة الآخرة، ولكن الحياة الآخرة تلك لن تكون من نصيبها بلا جهد.

نظرت محظية الإمبراطور إلى ملابسها الفخمة ويديها الجميلة، ثم نظرت إلى الراهب الواقف بلا حراك في الحديقة بعيدا، ملامح وجهه التي قبّحها العجز وملابسه الرثة المبتلة. هذه الرابطة بينهما كانت لها سحرا جهنميا. ولكن ذلك لم يكن مثل الحلم الرائع الذي حلمت به. ظهر لها الراهب العظيم وكأنه شخص جاء من الحجيم. اختفت تماما هالة الرجل الفاضل الرفيع الخلق، الذي كانت تصدر من خلفه أشعة الأرض الطاهرة المتألقة. ذهبت عنه كل الأشعة والأنوار التي تدعو إلى الأذهان مجد الأرض الطاهرة. بالتأكيد وبدون أي شك إنه هو نفس الرجل الذي رأته على ضفاف بحيرة شيغا، ولكنه كان في الوقت يبدو وكأنه شخص مختلف تماما.

محظية الإمبراطور، كعادة شخصيات البلاط الإمبراطوري، كانت تميل إلى الحذر من انفعالاتها العاطفية. كانت تفعل ذلك دائما عندما تأتي أمامها أشياء تضطرها إلى التأثر والانفعال. حتى بعد أن رأت البرهان على حب الراهب لها لهذه الدرجة، شعرت بخيبة أمل أن يكون الحب الأسمى الذي رأته في أحلامها طويلا يأخذ تلك الهيئة البالغة التواضع.

راهب معبد شيغا الذي وصل العاصمة أخيرا بعد سفر طويل متوكئا على عصاه، كان قد نسي كل تعبه. بعد أن تحايل لدخول القصر الإمبراطوري حيث توجد محظية الإمبراطور، عندما يفكر أن وراء تلك الستائر الخيزرانية، توجد المرأة التي يهواها يفيق من كل الأحلام الكاذبة.

عندما أخذ الحب هذا الشكل البريء، مرة أخرى بدأت الحياة الآخر تسحر لب الراهب العظيم. أحس وكأنه لم يسبق له أن رسم في ذهنه الأرض الطاهرة بهذه الدرجة من النقاء والصفاء. لقد أصبح شوقه للأرض الطاهرة يأخذ شكلا حسيا على الأغلب. لم يبق له من أجل أن يزيل أوهام هذه الدنيا التي تعيقه عن الآخرة، إلا لقاء المحظية وإعلان حبه لها. هذا فقط هو المتبقي.

كان يعاني كثيرا من الوقوف هناك يستند بجسده العجوز على عصاه. تنسكب فوق رأسه أشعة شمس مايو الساطعة المتسللة من خلال أوراق الشجر. كلما أحس بدوار في رأسه يتكيء على عصاه ليحمي نفسه من الوقوع. لو أن المحظية تنتبه إليه سريعا وتستدعيه، ستنتهي هذه الخطوة في الحال. وهناك يكون باب الأرض الطاهرة مفتوحا على مصراعيه. الراهب العظيم ينتظر. ينتظر مسندا على عصاه تعبه الذي يصل به إلى حد الإغماء. أخيرا أشعة الشمس احتجبت. وأصبح الوقت مساءً. ولكن لا توجد أخبار تأتي من قبل محظية الإمبراطور.

ولكن المحظية لم تكن بالطبع تعلم أن الراهب يعتقد أن الأرض الطاهرة تكمن خلفها. كانت تنظر مرة بعد مرة من خلف الستائر الخيزرانية ناحية الحديقة .كان الراهب يقف في الحديقة. المساء يزحف، والراهب ما يزال يقف هناك.

أصبحت محظية الإمبراطور مذعورة. فلقد شعرت أن ما رأته هو تجسيد حي لأوهام التعلق عميقة الجذور. لقد احتواها رعب عارم من السقوط في الجحيم .الرعب الإنساني

العادي الذي يقول إنها بعد أن تسبب في حيرة وضلال راهب على تلك الدرجة من الأخلاق العالية، بالتأكيد لن تستقبلها الأرض الطاهرة، بل مآلها سيكون إلى الجحيم. وقتها قد تحطم بالفعل الحب الأسمى الذي كانت تحلم به. أنها حطمته بالفعل. فالجحيم هو أن تُحَب. كانت المحظية على العكس من الراهب العظيم ترى الجحيم من ورائه.

ولكن تلك المرأة النبيلة المتغطرسة قاتلت خوفها بشدة. ولقد شجعت روحها بالاستعانة بوحشيتها وقسوتها الفطرية. فالراهب سيسقط صريعا حتما عاجلا أو آجلا. فما عليها إلا أن تنتظر سقوطه. ولكنها ما أن تلقي نظرة خلف ستائر الخيزران متوقعة أنه قد سقط، تجده واقفا بصمت هناك بلا حراك، مما يزيد من غضبها.

دخل الليل، وبدت هيئة الراهب الواقف في ضوء القمر كأنها هيكل عظمى.

لم تستطع محظية الإمبراطور النوم من الرعب. ولكنها رغم عدم النظر في اتجاه الستائر، وقد أعطت ظهرها لها، إلا أنها كانت تشعر بنظرات الراهب.

فهمت الآن أنه ليس حبا عاديا. ولكنها من الخوف من أن تُحب، ومن الخوف من الوقوع في الجحيم، أصبحت على العكس تتمنى الأرض الطاهرة بقوة أكثر. فكرت أنها تريد الحفاظ على الأرض الطاهرة الخاصة بها بلا أي جروح. أرضها الطاهرة تلك تختلف تماما عن أرض الراهب الطاهرة، وليس لها أية علاقة بحبه. فهي تعتقد أنها لو تحدثت مع الراهب ستنهار أرضها الطاهرة على الفور. إنها تريد أن تعتقد أن حب الراهب ليس له علاقة بها، فالراهب يحبها من نفسه وبدون تدخلها، ولذا فمن المفروض ألا تفقد ولا قليلا استحقاقها في أن تستقبلها الأرض الطاهرة.

ولكن ورغم ذلك، فكلما تقدم الليل تدريجيا، وأصبح الجو أكثر اعتدالا، كلما فقدت ثقتها في أنها ستستطيع التحكم في قلبها لو سقط الراهب في مكانه ميتا.

الراهب العظيم واقف بلا حراك. بدا القمر بعد اختفائه خلف الغيوم في هيئة عجيبة ساحرة وكأنه شجرة ذابلة.

صرخت المحظية في قلبها: أنا ليس لي علاقة بهذا الرجل. لم تكن محظية الإمبراطور تفهم إطلاقا لماذا حدث ذلك.

في تلك اللحظة، ونادرا ما يحدث ذلك، نسيت المحظية جمالها تماما. أو ربما قد يكون من الأنسب أن نقول إنها تعمدت نسيانه.

أخيرا، بدأ لون السماء يميل قليلا إلى اللون الأبيض.

الراهب لا زال واقفا كالطود في غسق الفجر.

هُزمت محظية الإمبراطور. استدعت الخادمة وأخبرتها أن تدعو الراهب الواقف في الحديقة للمجيء أمام ستائر النافذة الخيزرانية.

كان الراهب على حدود الغيبوبة بعد أن وصل الجسد إلى حافة الانهيار التام. ولم يعد يدري ماذا ينتظر؟ محظية الإمبراطور أم الحياة الآخرة. حتى مع إدراكه أن الخادمة قد نزلت إلى الحديقة من جهة الستائر الخيزرانية وتقترب منه، فإنه لم يكن يشعر أن ما كان ينتظره قد أتاه أخيرا.

أبلغته الخادمة رسالة سيدتها. صرخ الراهب في داخله صرخة مهولة. ولكن لم يصدر منه أي صوت تقريبا.

حاولت الخادمة أن تسحب يديه. ولكنه تقهقر رافضا. ثم مشى حتى موضع الستائر الخيزرانية بخطى ثابتة راسخة بشكل مدهش وعجيب.

المكان خلف الستائر كان مظلما، ولا يمكن رؤية شكل السيدة من الخارج. جثا الراهب على ركبتيه أمام الستائر، ثم غطى وجهه بيديه وانخرط في البكاء.

طال النواح لفترة ولم يكن قادرا على التفوه بالكلمات. وبدا وكأنه سيظل يبكي إلى الأبد.

عندها ظهرت في غسق الفجر يد بيضاء من أسفل الستائر المدلاة.

أمسك راهب معبد شيغا يد محبوبته بيديه الاثنتين. ثم قام بوضعها على جبهته، ثم وضعها على خده.

شعرت محظية الإمبراطور بتلك اليد الباردة العجيبة تلمس يدها. ثم بعد ذلك أحست بيدها قد تبللت بشيء دافئ. أحست محظية الإمبراطور بشعور مقزز لأن يدها قد ابتلت بدموع شخص غريب عنها.

ولكن مع إحساسها بدخول لون السماء الذي يميل إلى البياض من خلال ستائر النافذة، وبسبب قوة إيمانها الحار، لمستها فجأة مشاعر روحية رائعة. لقد جاءها اقتناع أن اليد الغريبة التي لمستها هي يد بوذا نفسه بلا أي شك.

لقد بُعثت من جديد الأوهام في قلب المحظية. بعثت مجددا أرضية اللازورد في الأرض الطاهرة، والأبراج السُباعية المرصعة بالجواهر، ومناظر الملائكة التي تعزف الموسيقى، وبحيرات الذهب الخالص المفروشة برمال بلّورية، وزهور اللوتس ذات الأشعة اللامعة، وأصوات طائر الكالافينكاس الجميلة. إذا كانت تلك الأرض الطاهرة ستكون من نصيبها، والحقيقة أنها لا تزال تؤمن بذلك حتى الآن، فليس لديها مانع في تقبل حب الراهب العظيم. انتظرت المحظية أن يطلب منها ذلك الرجل صاحب يد بوذا أن ترفع الستائر التي تفصله عنها. لا بد وأن الراهب العظيم سيطلب منها ذلك. ثم تقوم برفع الستائر. ثم يظهر له جمالها الذي لا مثيل له، كما حدث في ذلك اليوم على ضفاف بحيرة شيغا. ثم تدعو الراهب العظيم للصعود إلى غرفتها.

انتظرت محظية الإمبراطور العظيم.

لكن كاهن معبد شيغا لم يقل أي شيء، ولم يطلب منها أي شيء. اليد العجوزة التي كانت تمسك يدها بقوة، أخيرا حلت قبضتها. وتُركت اليد البيضاء كالثلج وحيدة تحت ضوء الفجر.

غادر الراهب العظيم المكان. وأصبح قلب محظية الإمبراطور باردا.

بعد بضعة أيام وصل نبأ أن الراهب العظيم قد توفي في كوخه. وبهذا الخبر قررت محظية الإمبراطور، نسخ كتب السوترا لفة بعد لفة في كتابة جميلة وإهداءها إلى المعبد. وكلها كتب رائعة تبعث على الامتنان، هي كتاب سوترا زهرة اللوتس وكتاب سوترا الحياة الأبدية وكتاب سوترا أكاليل الزهور

فتى يكتب الشعر

ترجمة : ميسرة عفيفي

كان الفتى يستطيع بسهولة تامة كتابة الشعر، وينتقل في سلاسة من قصيدة لأخرى. وينتهي في الحال من ملأ كراس المدرسة الذي يبلغ حجمه ثلاثين صفحة والمطبوع عليه اسم المدرسة 'غاكوشوين'. ولقد شك الفتى في ذلك، لماذا يستطيع كتابة الشعر بهذه الطريقة لدرجة الانتهاء من قصيدتين أو ثلاث قصائد في اليوم الواحد؟ بل إنه عندما حُجز في المستشفى لمدة أسبوع كامل، ألف ديوان باسم "جمع شعر أسبوع" فقام بقص شكل بيضاوي مفرغ على غلاف الكراس ليظهر من تحته كلمة Po'sies ثم كتب تحت ذلك باللغة الإنجليزية هذه المرة:the 18th MAY 1940

عندما طافت شهرة شعره الجيد بين زملائه الأقدم منه في المدرسة، كان يقول في نفسه: "غير معقول ! ... من المؤكد أن هذه الجلبة فقط بسبب أن الجميع ينظر إلى أنني في سن الخامسة عشر".

ولكن الفتي رغم ذلك كان متأكدا تماما من أنه عبقري. ولذلك فهو يرد على زملائه الأقدم منه بحديث الند للند. ويرى أنه من الأفضل تجنب قول 'أنا أعتقد أن الأمر هو ...'، وأنه عليه أن ينتبه لكلامه في كل المواضيع ليأخذ صيغة 'إن الأمر هو ....'. كان الفتى مصابا بفقر الدم بسبب كثرة الاستمناء. ولكنه لم يكن يهتم بعد بقبحه. فالشعر هو شيء مختلف تماما عن تلك المشاعر الفسيولوجية البغيضة. الشعر يختلف تماما عن كل شيء. كان الفتى يكذب كذبا غير ملحوظ يناسب الموقف. من خلال الشعر تعلم الفتى طريقة الكذب غير الملحوظ بما يناسب الموقف. المطلوب فقط أن تكون الكلمات جميلة.

وبهذا الطريقة كان يوميا يقرأ المعاجم بجد واجتهاد.

كان الفتى عندما يبلغ النشوى، يظهر أمام عينه دائما عالما مجازيا.

"ديدان اليسروع حولت أوراق الكرز إلى سباق"

"الحصى التي رُميت تخطت أشجار البلوط وذهبت لرؤية البحر"

'في يوم ذي سحب، قامت الرافعة العملاقة بنزع صفحة البحر ذات التجاعيد الكثيرة ولفّتها في الهواء لتبحث تحتها عن جثث الغرقى

' ثمرة الخوخ القريبة من الخنفساء تضع في الواقع مكياجا خفيفا'

'يلتصق الهواء الغاضب المضطرب حول الهارعون جريا بكل طاقتهم، وكأنه مثل النيران فوق ظهور التماثيل.

'الغروب هو نذير شؤم، ولونه مثل لون صبغة اليود المركزة.

'أشجار الشتاء ألقت أرجلها الصناعية تجاه السماء. ثم بعد ذلك بدا جسد الفتاة العاري بجوار المدفأة وكأنه ورد مشتعل، ولكن عندما تقترب من النافذة تكتشف أنه ورد صناعي، وأن البشرة التي بها قشعريرة بسبب البرد، قد تحولت إلى قطعة من زهرة مخملية منفوشة.'

كان الفتى يصل إلى ذروة السعادة عندما يتحول العالم بهذه الكيفية في الواقع. ولم يكن الفتى يندهش من حدوث حالة السعادة القصوى تلك بشكل مؤكد عندما يتولد داخله الشعر. كان يعلم في عقله أن الشعر يتولد من داخل الحزن واللعنة واليأس، يتولد الشعر من وسط الوحدة القاسية، ولكن من أجل ذلك كانت توجد ضرورة أن يحمل هو نفسه اهتماما أكثر تجاه ذاته، وأن يعطيها قضية ما. ورغم إيمانه الذي لا يتزعزع أنه عبقري، إلا أنه من المدهش أن الفتى لم يكن يحمل اهتماما تجاه ذاته. فلقد جذبه تماما سحر العالم الخارجي. أو الأصح عوضا عن ذلك هو القول إنه لحظة وصوله لذروة السعادة القصوى، كان العالم الخارجي بلا سبب واضح يتخذ بسهولة الشكل المفضل لديه. لم يكن الفتى يعرف جيدا هل الشعر يظهر من أجل إثبات سعادة الفتى بين حين وآخر، أم أن الفتى يكون في سعادة بسبب ميلاد الشعر. ولكن تلك السعادة كانت تختلف بشكل واضح عن سعادته عندما يحصل على طلب له بشراء شيء ظل يريده لفترة طويلة، أو عندما يخرج مع والديه في رحلة ما، غالبا هي ليست السعادة الموجودة عند أي شخص آخر، ومن المؤكد أنها سعادة لا يعرفها بحق إلا هو فقط.

في كل الأحوال لم يكن الفتى يحب الاستمرار في تأمل أمرا ما فترة طويلة سواء كان ذلك

نفسه أو العالم الخارجي. الشيء يلفت انتباهه، ثم يبدأ في التحول السريع إلى شكل ما مغاير ومختلف في الحال، على سبيل المثال، إذا تلألأت أوراق الغابة الخضراء، إذا لم يتحول الجزء المشع منها في وسط الظهر من أحد أيام شهر مايو، وكأنها زهور كرز ليلية، فهو على الفور يسأم منها ويتوقف عن مشاهدتها. وكان يواجه الصور الحادة المؤكد أنها لن تتغير ولو قليلا، بابتسامة باردة قائلا: "تلك لا تصلح لأن تكون شعرا"

في يوم اختبار المدرسة، جاءت الأسئلة كما توقعها تماما، فكتب الإجابات بسرعة، ثم سلم ورقة الإجابة إلى المدرس بدون أن يراجعها بشكل دقيق، واستطاع أن يخرج من الفصل قبل أي زميل آخر من نفس صفه. وأثناء عبور فناء المدرسة الذي لم يكن يوجد به ظلا لإنسان في فترة الصباح، نظر إلى قمة سارية العلم التي تنتهي بكرة ذهبية صغيرة تلمع متألقة. وعندها غمرته سعادة بالغة لا يمكن وصفها. اليوم ليس عيدا قوميا ولذا فالعلم لم يكن مرفوعا، ولكنه كان يعتقد أن اليوم عيدا داخل قلبه، وأن أشعة الكرة الذهبية اللون تحتفل به وتهنّيه. ينخلع قلب الفتى بسهولة عن جسده ويبدأ التفكير في الشعر. يا لها من نشوى تنتابه في تلك اللحظة. يا لها من وحدة مكتملة. يا لها من خفة لا متناهية. يا لها من سُكْرةٍ صافية تصل إلى كل الأركان. يا له من تقارب وتوافق كامل بين داخل النفس وخارجها

كان الفتى عندما لا تأتيه هذه اللحظة بشكل طبيعي، يستخدم شيئا ما من الأشياء حوله، ويحاول عنوة ولو بشكل مصطنع أن يستدعي حالة سُكْرةٍ مشابهة. يقوم مثلا بالنظر إلى ما داخل الغرفة باستخدام غلاف علبة السجائر الشفاف الذي يأخذ تصميم ظهر سلحفاة مخططة. أو أن يقوم برج زجاجة المسحوق الأبيض السائل الخاصة بأمه بعنف، حتى يقوم المسحوق أخيرا بالرقص متثاقلا عربيدا، وفي النهاية يظل يتأمل ذلك المسحوق وهو يترك السائل الرائق يتكون في أعلى الزجاجة، ثم يترسب هو تدريجيا في قاعها. كان الفتى كذلك يستخدم كلمات مثل 'الصلاة' و'اللعنة' و'الاحتقار' بدون أي تأثر أو عاطفة. انضم الفتى إلى نادي الأدب في مدرسته. وقد أعاره عضو اللجنة المفتاح، فكان الفتى يذهب إلى غرفة النادي وقتما يريد، وكان بذلك يستطيع الاستغراق في قراءة الكتب والمعاجم التي يحبها. كان الفتى يحب صفحة الشعراء الرومانسيين في موسوعة الآداب العالمية. فجميع الشعراء كانت صورهم في تلك الموسوعة بدون لحى شعثاء، وكانوا جميعا شبابا ذوي جمال آخاذ.

وكان الفتى يهتم كثيرا بقصر حياة الشعراء. يجب على الشاعر الحق أن يموت مبكرا. ولكن حتى لو قلنا الموت المبكر، فبالنسبة للفتى ذي الخمسة عشر ربيعا، كان الأمر لا زال بعيدا جدا، وبسبب ذلك الآمان الناتج من الأرقام، ظل الفتي يفكر في الموت المبكر بمشاعر سعيدة.

كان الفتى يحب قصيدة أوسكار وايلد القصيرة التي تُسمّى "قبر كيتس". 'يرقد هنا أصغر الشهداء، الذي أُخذ من هذه الحياة عندما كان في ريعان الشباب حيث الحب والحياة.'

يرقد هنا أصغر الشهداء. كانت هناك دهشة كبري من هجوم الكوارث والتعاسة الواقعية على الشاعر وكأنهما منحة إلهية. لقد كان الفتى يؤمن بالتوافق القدري. التوافق القدري لسير حياة الشعراء. بالنسبة للفتى كان الإيمان بالتوافق القدري والإيمان بعبقريته نفس الشيء

وكان ممتعا له أن يفكر في محتوى نعي طويل يكتبه لنفسه، أو في مجده بعد الموت، ولكن عندما يصل تفكير إلى جثته بعد الموت، تجعله تلك الأفكار في النهاية يمتعض قليلا. كان يحدثه نفسه بقوة وحماس قائلا لها: (يجب عليّ أن أحيا كالألعاب النارية. أبذل كل جهدي في تلوين سماء الليل في لحظة، ثم أختفي في الحال)

كان يفكر في أشياء متعددة ولكنه لم يستطع تخيل طريقة للحياة غير ذلك. ولكن الفتى كان يكره الانتحار. لذا فالتوافق القدري سيسدي له معروفا ويقتله في الوقت المناسب بشكل ملائم

لقد بدأ الشعر يجعل الفتى يميل تجاه الكسل النفسي. لو كان أكثر اجتهادا من الناحية النفسية، لربما كان قد فكر في الانتحار بقلب متحمس.

في طابور الصباح، دعاه مشرف الطلبة للقائه. قال له: 'تعال إلى مكتب المشرف'. ومعنى دعوته إلى ذلك المكتب أنه سيلاقي تعنيفا ومسائلة أثقل من الدعوة إلى مكتب المدرسين. زملائه قاموا بإخافته قائلين: 'أكيد أنت تعلم ماذا فعلت'. شحب وجه الفتى وارتعشت يداه بشدة.

كان مشرف الطلبة ينتظره وهو جالس ممسكا بملقاط الفحم الحديدي يكتب به حروفا ما على رماد المدفأة التي بلا نيران. وعندما دخل الفتى قال له المشرف بصوت حنون: "اجلس". ولم يعنّفه مطلقا. بل قال له إنه قرأ شعره الذي نُشر في مجلة لجنة أصدقاء

المدرسة. ثم بعد ذلك سأله عدة أسئلة عن الشعر وعن أسرته. وفي النهاية قال له:
- يوجد نوعان من الشعراء، شيللر وغوته. هل تعرف شيللر؟
-هل تعني فريدريش شيللر؟
- نعم هو. لا يجب عليك أن تكون مثل شيللر. بل يجب عليك أن تكون مثل جوته.
كان الفتى متجهم الوجه أثناء عودته إلى فصله بعد أن خرج من مكتب المشرف بسبب عدم رضاه وكان يجر رجليه جرا. فهو لم يكن قد قرأ من قبل أي من أعمال شيلر أو جوته. ولكنه يعلم صورتيهما.
(أنا أكره غوته. نعم أكرهه، فهو عجوز طاعن في السن. أنا أحب شيللر أكثر.)

كان (ر) رئيس نادي الأدب الذي يكبر بالفتى بخمسة أعوام كاملة، يعتني به. وكان الفتى يحب (ر) كذلك. والسبب أن (ر) كان يعتقد في نفسه بوضوح أنه عبقري ليس له مثيل، وهو قد اعترف بعبقرية الفتى بدون النظر إلى فارق السن بينهما، ولأنه من الضروري أن يصبح العباقرة أصدقاء لبعضهم البعض.

كان (ر) هو الابن الأكبر لعائلة من النبلاء. ولذلك تجده قد تقمص دور الشاعر الفرنسي أوغست دوليل آدم، ويفخر بنسب عائلته العريق، ويكتب أعمالا يبث بها مشاعر رثاء جمالية تجاه تقاليد وفنون وآداب النبلاء القدماء. كذلك قام (ر) بتجميع أشعاره وكتاباته القصيرة في كتاب ونشره على حسابه الخاص، وهو ما جعل الفتى يشعر بالغيرة تجاهه.
كان الاثنان يتبادلان يوميا رسائل طويلة. وكانت عادة كتابة الرسائل اليومية ممتعة بالنسبة للفتى. تقريبا كل صباح كان يصل لعنوان الفتى رسالة من (ر) في مظروف غربي الطراز مشمشي اللون. مهما كان سُمك الرسالة كان يمكن معرفة وزنها، ولكن خفة تلك الرسائل المنتفخة كانت تسعد الفتى وتعطيه شعورا بأنها مملؤة عن آخرها بالرشاقة، وفي نهاية رسالة كل منهما كانت تختم بما ألّفه كلاهما من شعر في ذلك اليوم أو آخر وأحدث أشعارهما، أو لو لم يلحق بها كانا يكتبان أشعارهما القديمة.

أما محتوى الرسائل فهو بلا هدف محدد. يبدأ مرسل الرسالة بالنقد والتعليق على شعر الطرف الثاني في آخر رسالة له، ثم ينتقل من ذلك إلى أحاديث لا نهاية لها، فيكتب عن آخر ما سمعه من موسيقى، والأحاديث العائلية اليومية، وانطباعه عن فتاة جميلة شاهدها، وتعريف بما قرأه من كتب، والتجارب الشعرية في تلقى الوحي لعالم شعري كامل من خلال كلمة واحدة، وحكي مفصل عن الحلم الذي حلم به الليلة السابقة ... إلخ. مثل هذه

الرسائل لم يمل كتابتها أبدا لا الشاب الذي بلغ العشرين عاما ولا الفتى ذو الخمسة عشر ربيعا.

ولكن الفتى قد لاحظ في رسائل (ر) ظلالا ضئيلة من الاكتئاب والقلق، يعرف تماما أنها لا توجد في رسائله هو مطلقا. الخوف تجاه الواقع، والقلق من ضرورة مواجهته في النهاية، أعطيا لرسائل (ر) نوعا من المعاناة والوحدة الموحشة. وكان الفتى السعيد يعتقد أن تلك الظلال ليس بينها وبينه أي علاقة وأنه لا يمكن أن يسقط فيها.

'هل يمكن يا ترى أن أستقيظ على شيء ما قبيح؟' لم يخطر هذا السؤال على بال الفتى قط ولم يتوقعه مطلقا. على سبيل المثال الشيخوخة التي اجتاحت جوته وتحمّلها لوقت طويل. من المستحيل أن يحدث ذلك له. كان الفتى لا زال على مسافة بعيدة من فترة ريعان الشباب التي يقال عنها إنها قبيحة وفي نفس الوقت جميلة. ونسي الفتى تماما ما كان قد اكتشفه داخل ذاته من قبح.

الأوهام التي تخلط الفن بالفنان، الأوهام التي تجعل فتيات المجتمع المتساهلات يتجهن بأعينهن إلى الفنان، تلك الأوهام قد أمسكت بالفتى ذاته. لم يكن لديه اهتمام بدراسة وتحليل وجوده الذاتي، ولكنه كان دائما ما يحلم بذاته تلك. كان هو ذاته ينتمي إلى عالم الخيال الوهمي، ذلك الذي تتحول فيه الفتاة العارية إلى زهور صناعية. الإنسان الذي يصنع الأشياء الجميلة من المستحيل أن يكون قبيحا، هكذا كان الفتى يفكر بعناد، ولكن للأسف لم يصل عقله حتى النهاية إلى القضية الأكثر أهمية وراء ذلك. ألا وهي قضية هل هناك ضرورة أن الإنسان الجميل يصنع أشياءً أكثر جمالا؟

'ضرورة؟' لو سمع الفتى هذه الكلمة لضحك بلا أدنى شك. والسبب أن شعره لا يُولد تلبية لضرورة. فكل أشعاره، تُولد بشكل طبيعي، حتى لو رفضها الفتى ذاته، يُحرك الشعرُ يد الفتى، ويجعله يكتب الحروف على الورق. إذا قلنا ضرورة فهذا يعني أنه لابد من وجود نقص ما. ولكن هذا النقص غير موجود. مهما أطال التفكير فالنقص غير موجود. فأولا منبع أشعاره كلها يمكن تعويلها على الكلمة السهلة المفيدة التي تُسمى عبقرية، ومن جهة أخرى فهو غير قادر على الإيمان بوجود نقص ما عميق داخله لا يستطيع هو الوعي به، وحتى لو آمن بذلك، فهو عوضا عن التعبير عنه بكلمة نقص، كان الفتى يحب أن يسميه عبقرية. ورغم قول ذلك فليس معناه أن قدرة الفتى على النقد الذاتي لشعره كانت منعدمة تماما. مثلا القصيدة ذات الأربع أسطر التي أغرقها زملائه الأقدم منه مدحا، كان يرى هو أنها

طائشة ويخجل منها. كانت القصيدة عبارة عن شعر يتكلم في مجمله عن قدرة عيناك الصافتين على اختزان الكثير من الحُب داخلها بسبب تلك الدرجة العالية من الشفافية والزرقة مثل قطعة من الزجاج.

يسعد الفتى بمديح الآخرين له بالطبع، ولكن كان غرور الفتى ينقذه من مصير الغرق في بحر المديح. وفي الحقيقة كان الفتى لا يحمل أي تأثر أو اهتمام حتى بمواهب صديقه (ر). كان (ر) بالتأكيد ذو موهبة بارزة متميزة بين أعضاء نادي الأدب الأقدم منه، ولكنها لم تكن تصنع ثقلا في قلب الفتى بكلمات أو عبارات متفردة. كان في قلب الفتى مناطق بالغة البرود. وإذا لم يقم (ر) بالإسهاب في مديح مواهب الفتى الشعرية باستخدام الكثير من الكلمات، لما كان الفتى على الأرجح ليعترف بموهبة (ر).

وبديلا عن تذوق السعادة الهادئة التي تأتيه من وقت لآخر، كان الفتى يعلم جيدا أنه تنقصه العاطفة الخام التي تلائم فتى في مثل سنه. في مبارايات كرة المضرب التي تقام بين المدارس التابعة لجامعة 'غاكوشوين' مرتين من كل عام في الربيع ثم الخريف، عندما ينهزم فريق مدرسة 'غاكوشوين' الإعدادية أمام المدرسة الإعدادية التابعة، بعد نهاية المباراة يلتف المشجعين من الزملاء الأحدث حول اللاعبين الذين ينهارون في البكاء بشدة، ويبكون معهم. ولكن الفتى لم يكن يبكي. ولم يكن يشعر بأي حزن ولو قليل.

رأي الفتى هو "ما هو الأمر المحزن في خسارة مباراة لكرة المضرب؟" الوجوه التي تبكي لسبب كهذا كانت بعيدة جدا عن قلبه. بالتأكيد كان الفتى يعلم أنه مخلوق سهل التأثر والتعاطف، ولكن سهولة التأثر تلك كانت تتجه في اتجاه يختلف عن الآخرين جميعا، ومن ناحية أخرى كان ما يبكي الآخرين لا يتردد صداه في قلب الفتى على الإطلاق.

زادت تدريجيا عناصر الحب فيما يكتبه الفتى من أشعار. هو لم يسبق له خوض تجربة الحب. ولكنه كان قد سئم من تأليف الشعر معتمدا فقط على تحوّل كائنات الطبيعة، فبدأت نفسه مع الوقت ترغب في كتابة الشعر عن تحوّلات القلب. ولم يكن الفتى يشعر بأي حرج في كتابة الشعر عن موضوع لم يسبق له خوض تجربته بنفسه. فلقد كان من البداية متأكدا أن الأدب والفن هو كذلك. ولم يتباكى على الإطلاق من عدم خبرته.

فالحقيقة أنه لم يكن هناك أية بوادر للتصادم أو التوتر بين حقائق العالم الذي لم يخض تجربته بعد، وبين عالمه الداخلي الخاص به، ولم يكن في حاجة إلى ضرورة الإيمان بتفوق عالمه الخاص ولو بالقوة، ومن خلال تأكيد لا عقلاني ما، كان يستطيع حتى الاعتقاد أنه لا

يوجد في هذا العالم أية عاطفة لم يسبق له تجربتها شخصيا. والسبب أنه كان يعتقد أنه بالنسبة لقلب حاد العاطفة مثل قلبه، يمكنه من خلال تجميع العناصر الأساسية لجوهر كافة المشاعر والعواطف في هذه الدنيا في الشكل المناسب، حتى لو كان ذلك من خلال توقعها في حالة معينة، فكل التجارب الأخرى من الممكن له التقاطها والتدرب عليها ثم إيجادها. ما هي العناصر الأساسية للمشاعر؟ كان الفتى قد وضع لها تعريفا خاص به. 'إنها الكلمات'.

لم يكن الفتى قد تمكّن بعد من الإمساك بالكلمات وامتلاك طريقة استخدام لها خاصة به وحده حقا. ولكن الكثير من الكلمات التي يكتشفها في المعاجم، كلما كانت كلمات شاملة، وكانت لها معاني متعددة ومحتوى متنوع، كلما كان يعتقد هو أن بسبب ذلك فقط هو يملك طريقة استخدام خاصة به وتحمل بصماته. ولكنه لم يكن يعتقد بالضرورة أن طريقة الاستخدام الخاصة به تلك، تحمل صفاتها وألوانها وتتكون لأول مرة من خلال الخبرة والتجربة المعيشية.

إن اللقاء الأول لعالمنا الخاص مع الكلمات، هو تلامس الشيء الفردي مع الشيء الشامل، وكذلك الشيء الشامل يتم صقله ويصبح بالتالي يحصل على مكانه لأول مرة كشيء فردي. إن تلك التجارب الداخلية التي يصعب التعبير عنها تراكمت بشكل كافي حتى داخل الفتى ذي الخمسة عشر ربيعا. والسبب أن الفتى عندما يصطدم بكلمة ما جديدة ويشعر بغرابة تجاهها، في ذات الوقت كان ذلك يجعله يحس بتجربة عاطفة ما مجهولة داخله. وذلك أيضا كان مفيدا له في الاحتفاظ بملامح هادئة لا تتناسب أبدا مع عمره. ولأنه كان قد تعوّد على التعامل عندما تهجم عليه عاطفة ما، من الدهشة التي تحدثها تلك العاطفة داخل قلبه، يتذكر على الفور إحدى العواطف المناسبة التي تم ذكرها عاليه، ويتذكر الكلمة التي سببت تلك العاطفة، ومن خلال تلك الكلمة يعطي بسهولة تلك العاطفة التي أمامه اسما. ولهذا السبب كان الفتى يعرف أشياءً متنوعة مثل 'اليأس' و'اللعنة' و'فرحة بلوغ الحب' و'حزن فقد الحب' و'الألم والمعاناة' و'الذل وجرح الكرامة'.

كان من السهل أن يُسمي ذلك قوة الخيال. ولكن الفتى كان مترددا إزاء تلك التسمية. فلو قلنا قوة الخيال، فيجب أن يتضمن ذلك تخيل آلام الآخرين، وحدوث انتقال عاطفي يجعله هو نفسه يتألم مثلهم. ولكن برود الفتى الطاغي لم يجعله يشعر مطلقا بآلام الآخرين. كان فقط يهمس: "ذلك الألم رهيب. أنا أعرف ذلك جيدا".

كان ذلك في وقت ما بعد الظهيرة في يوم صحو من شهر مايو. انتهى الدرس وفكر الفتى أن يذهب إلى غرفة نادي الأدب ليتناقش مع من يجده هناك قبل أن يعود إلى منزله، وتوجه بقدمه فعلا في اتجاه الغرفة. عندها قابل (ر) في منتصف الطريق.

قال (ر):

- 'كنت أبحث عنك. دعنا نتبادل الحديث ثم نذهب'

دخل الاثنان مبنى المدرسة القديم الشبيه بالثكنات وفصوله مقسمة بحوائط من ألواح الأبلكاش. توجد غرفة نادي الأدب في أحد أركان الطابق الأرضي المظلم. يُسمع من غرفة نادي الرياضة أصوات ضوضاء وضحكات عالية ونشيد المدرسة ويُسمع من غرفة نادي الموسيقى صدى لصوت البيانو على فترات متباعدة.

أدخل (ر) المفتاح في ثقب الباب الخشبي المتسخ. ولكي يُفتح الباب كان يجب دفعه بقوة بالجسم بعد إدارة المفتاح.

كانت الغرفة خالية لا يوجد بها أحد. فاحت رائحة التراب المألوفة. دخل (ر) أولا وفتح النافذة ونفض الغبار الذي التصق بيده، ثم بعد ذلك جلس على مقعد قديم على وشك الانكسار.

بعد أن هدأ قليلا بدأ الفتى التحديث على الفور.

- 'لقد رأيت ليلة أمس حلما ملونا. لقد كنت أنوي أن أكتب لك رسالة بعد عودتي للمنزل اليوم. (كان الفتى يؤمن أن رؤية الأحلام الملونة هي ميزة خاصة ينفرد بها الشعراء فقط، وكانت تلك من مهاراته.) ..... كان مكانا يشبه ربوة عالية أرضها حمراء. كانت شمس الغروب تشع بلون فاقع الإحمرار، ولكن رغم ذلك كان لون الأرض الأحمر بارزا. ثم بعد ذلك ظهر من ناحية اليمين، شخص يجر سلسلة طويلة. و مقيد في نهاية السلسلة طاووس أكبر خمسة مرات تقريبا من حجم الإنسان، ويسير الطاووس مسحوبا ببطء شديد طاويا جناحيه أمام عيني. كان لون الطاووس أخضر فاقعا. كان في غاية الجمال، جسمه كله أخضر، واللون الأخضر يتألق لامعا. ولقد ظللت أتأمل ذلك الطاووس إلى أن تم سحبه والابتعاد به. كان حلما مهولا. أحلامي ذات الألوان دائما ما تكون ألوانها زاهية وواضحة ربما بشكل زائد عن الحد. ماذا يعني يا ترى ظهور الطاووس في الحلم طبقا لتفسير فرويد للأحلام؟'

- 'آه'

رد (ر) ردا مبهما بلا مبالاة واضحة.

كان (ر) مختلفا عما هو عليه دائما. شحوب وجهه كان كما هو عليه دائما، ولكنه لم يُظهر الحالة التي يرد بها دائما على كلمات الفتى بحماس لا يتغير ويتحدث إليه بصوت تملؤه حرارة هادئة. كان من الواضح أنه يستمع إلى حديث الفتى الفردي بلا وعي ولا انتباه. لا بل هو لم يكن يستمع له من الأصل.

كان قشر الشعر ينتشر قليلا حول الياقة الطويلة للزي المدرسي. أشعة الظلام جعلت شارة الياقة الذهبية التي على شكل زهرة الكرز تلمع، وبرزت الأنف عالية لتبدو أطول من أنوف الآخرين. تلك الأنف التي ولو أنها أكبر قليلا عن اللازم إلا أنها ذات شكل جميل وراقي، ولكنها تبرز بملامح قلقة محتارة إلى حد كبير. وقد جاء للفتى إحساس أن المعاناة تتبلور في ذلك المكان.

يوجد فوق المكتب العديد من الأشياء التي اعتلاها التراب، مثل مسودات قديمة، ومساطر، وأقلام رصاص قُصفت سنونها، ومجلد تجميع مجلة لجنة أصدقاء المدرسة، وورق كتابة مربعات به بعض الكلمات. كان الفتى يحب هذا الجو الأدبي الفوضوي. مد (ر) يده متثاقلا وتناول المسودات القديمة وكأنه يحاول ترتيب الفوضى. وعندها صُبغت أنامل يده الرقيقة البيضاء، بتراب ذو لون فيراني. ضحك الفتى بصوت خفيض. ولكن (ر) لم يضحك بل عبر عن استيائه بقرقعة من لسانه وقال وهو ينفض يده من التراب:

- في الواقع يوجد ما أريد قوله لك اليوم.

- وما هو؟

– في الواقع ... أنا ...

بعد أن تباطأ (ر) في القول واصل في عجلة:

- 'أعاني بشدة. لقد قابلت موقفا شديد الصعوبة.'

- هل وقعت في الحب؟'

سأله الفتى ذلك السؤال بهدوء تام.

- آه.

بعد ذلك تحدث (ر) عن ما يلاقيه في مسيرة حياته حاليا. كان يتبادل الحب مع زوجة شابة، وقد فطن أبوه إلى ذلك الأمر، ففرّق بينهما.

فتح الفتى عينيه على وسعهما وظل يتأمل (ر) غير مصدق.

{يوجد أمامي هنا إنسان يعاني من الحب. إنني الآن ولأول مرة أرى ما يُسمى 'الحب'}، ولكن

على أي حال لم يكن ذلك المشهد جميلا بالمرة. بل ربما يكون هو أقرب إلى القبح. كان (ر) قد فقد حيوية روحه المعتادة فيه، وتميل ملامحه إلى البؤس، بمعنى أنه كان متعكر المزاج. لقد سبق للفتى أن رأى مثل ذلك الوجه لأناس فقدوا أشياءً لهم، أو تأخروا عن موعد القطار فرحل بدونهم.

ومع قول ذلك، فقد دغدغ غرور الفتى أن يبوح له زميله الأقدم سنا بقصة غرامه. وكان بالطبع سعيدا بذلك. وحاول الفتى بكل جهده أن يُظهر مشاعر التعاطف والحزن. ولكنه في الواقع كان يحس بالضيق والتذمر من الصورة المتواضعة للغاية للإنسان الواقع في الحب. أخيرا لاحت للفتى كلمات يواسي بها (ر).

- إنه أمر مهول. ولكن من المؤكد أن ذلك سيجعلك تكتب شعرا رائعا.

رد (ر) عليه وهو خائر القوى منهك العزيمة:

'- الأمر أخطر بكثير ولا مجال للشعر فيه.'

'- ولكن ... أليس وظيفة الشعر إنقاذ الإنسان في وقت كهذا؟'

برزت إلى مخيلة الفتى قليلا حالة السعادة التي يكون هو عليها عند كتابة الشعر. إذا استعار تلك السعادة فهو يعتقد أنه يستطيع التغلب على أية حالة من التعاسة أو المعاناة مهما كانت.

- ليس الأمر بهذا الشكل. أنت لا زلت صغيرا على فهم ذلك.

جرحت هذه الكلمة كبرياء الفتى. وتحول قلبه إلى البرود، وبدأ يخطط للانتقام.

- 'ولكن إذا كنت شاعرا حقا، إذا كنت عبقريا حقا، ألا يكون الشعر هو المنقذ لك في هذه الحالة؟'

رد (ر):

– 'لقد كتب جوته رواية 'آلام فرتر'، فأنقذته من الانتحار. أليس كذلك؟ ولكن جوته لأنه كان يشعر من أعماق قلبه أنه لا الشعر ولا أي شيء آخر يمكن أن ينقذه، وليس أمامه سبيل آخر إلا الانتحار، استطاع أن يكتب ذلك الشعر.'

- 'إذا كان الأمر كذلك، لماذا إذن لم ينتحر جوته إذا كانت كتابة الشعر والانتحار سيان؟ لماذا لم يختار الانتحار؟ هل عدم انتحاره يعني أن غوته كان جبانا؟ أم يعني أنه كان عبقريا؟'

- 'لأنه كان عبقريا.'

- 'إذا كان الأمر كذلك ...'

حاول الفتى أن يضغط على (ر) بسؤال آخر، ولكنه نفسه أصبح غير قادر على الفهم. لقد برزت فكرة ضبابية في ذهن الفتى وإن كانت ليست كاملة الوضوح، وهي أن نرجسية جوته هي التي أنقذته في النهاية. ولقد أحس الفتى برغبة قوية في الدفاع عن نفسه بهذه الفكرة. فلقد جرحت قلبه جرحا عميقا كلمة (ر) عندما قال له: 'أنت لا زلت صغيرا على فهم ذلك'. في هذا العمر تكون عقدة النقص تجاه الندية العمرية حادة للغاية. لم يقولها بفمه ولكن تولدت لدى الفتى نظرية رائعة هي الأكثر مناسبة للسخرية من (ر). (هذا الشخص ليس عبقريا. أجل فهو يقع في براثن الحب!)

كان حب (ر) حبا حقيقيا بالتأكيد. حبا لا يجب على العبقري الوقوع فيه أبدا. أخذ (ر) يحاول الدلالة على معاناته بإعطاء أمثلة للتأكيد عليها من قصص حب عديدة ومتنوعة، مثل حب الأميرة فوجيتسوبو والأمير غنجي، وحب بيلياس وميليساند، وحب تريستان وإيزولت، وحب الأميرة كلي' ودوق نيمورس وغيرهم.

الفتى وهو يسمع اعتراف (ر) تعجب أنه ليس به أي عنصر مجهول له. فقد كتب كل شيء، وتوقع كل شيء، وتدرب على كل شيء منه. لقد ذهب (ر) للواقع بقدميه من أجل أن يرى حلما أكبر. وهذا ما لم يفهمه الفتى. ولم يفهم لماذا تتولد الرغبة لدى العبقري لكي يفعل الشيء العادي؟

أثناء حديث (ر) بدا أن قلبه قد انفكت عقدته، فبدأ هذه المرة يتكلم بإسهاب ويحكي له عن جمال محبوبته. على ما يبدو أنها ذات جمال رائع، ولكن لم يستطع الفتى تخيل شكلها إطلاقا. قال له (ر) إنه سيحضر له في المرة القادمة صورتها ويطلعه عليها. ثم بعد ذلك أنهى (ر) كلامه نهاية مؤثرة وهو يبدي خجلا قليلا:

– 'كانت تقول لي إن جبهتي جميلة.'

نظر الفتى إلى جبهة (ر) التي ظهرت بعد أن رفع عنها مقدمة شعره. لمع سطح بشرة الجبهة العظيمة قليلا بسبب الأشعة الضئيلة المتسربة من الخارج، ورسمت بشكل واضح قرنين كبيرين غير مرئيين. قال الفتى في نفسه: {يا لها من جبهة ضخمة}. ولكنه لم يشعر بأنها جميلة على الإطلاق. (أنا أيضا ذو جبهة كبيرة. ولكن هذا يختلف عن وصفها بالجمال).

وقتها استيقظت عيون الفتى على شيء هام. إلا وهي الشوائب المضحكة التي تدخل بالضرورة في الوعي أثناء الحياة أو عند الحب، لقد رأى تلك الشوائب المضحكة التي ما كان

يستطيع العيش بدونها وسط الحياة والحب. أنها الظن الخاطئ بجمال الجبهة الضخمة. ربما كان الفتى كذلك يحمل داخله اعتقادا ما خاطئا شبيها بذلك، وإن كان على شكل أكثر معنويا وفكريا، وربما يواصل حياته مع هذا الاعتقاد. {ربما أكون عائشا على قيد الحياة}. هذه الفكرة كان بها ما يجعله يرتعد رعبا.

– 'في ماذا تفكر؟'

سأله (ر) بلطف كما هي عادته دائما.

عض الفتى شفته السفلى ثم ضحك.

كانت الشمس في خارج الغرفة على وشك الغروب تدريجيا. ولحظيا يُسمع أصوات فريق 'كرة المضرب' المتحمسين أثناء التدريب. ثم يتردد صدى صوت ممتع وجاف للمضرب الذي ضرب الكرة لتطير عالية في السماء.

(ربما سأتوقف في وقت ما عن كتابة الشعر). لأول مرة منذ ولادته يفكر الفتى على هذا النحو. ولكنه في نفس الوقت كان لا يزال على مسافة بعيدة من أن ينتبه إلى أنه لم يكن شاعرا من الأصل.

يوكيو ميشيما بقلم يوكيو ميشيما

ترجمة : ميسرة عفيفي

كتب يوكيو ميشيما هذه المقالة عن نفسه وهو في عمر التاسعة والثلاثين، أي قبل انتحاره بحوالي ستة سنوات. المقالة يتكلم فيها ميشيما عن نفسه بصيغة الغائب وكأن الذي يكتب هو شخص آخر. وتشع روح السخرية من النفس في أغلب أجزاء المقالة التي يحلل ميشيما فيها نفسه كرجل وليس ككاتب أو روائي بعد أن قام في مقالات سابقة بتحليل شخصيات لمشاهير من الرجال منهم يابانيون ومنهم مشاهير أجانب مثل ألفيس بريسلي وآلان ديلون وفيدل كاسترو .وربما تكون نهاية المقالة تنبؤا بما سيؤول إليه مصير الكاتب فيما بعد.

بطلب ملح من إدارة التحرير تقرر أن أتكلم عن الروائي الذي يُسمى يوكيو ميشيما، وأنا لا أعرف الكثير عنه. أمامي بعض المعلومات والبيانات عنه جمعتها كلها إدارة التحرير، ولكن ما أعرفه عنه فيما مضي أنه كتب رواية 'خيانة الفضيلة (bitoku no yorumeki) وتسبب في انتشار كلمة) yorumeki الخيانة) الغريبة في البلاد وقتها، وحديثا أنه قد صدر ضده حكم ابتدائي في قضية انتهاك الخصوصية التي أُقيمت ضده، فأصبح أضحوكة الناس في اليابان، هذا هو مبلغ علمي به. هو يؤكد على أن 'مميزات الرجل هي الثقافة والعضلات'، ولأنه نفسه يملك الثقافة والعضلات (رغم أنها عضلات بديلة تم إضافتها فيما بعد عن طريق رياضة

كمال الأجسام)، فهو يتفاخر بأنه شخصيا النموذج المثالي للرجولة. ولكن رغم امتلاكه تلك الثقافة الأدبية وتلك العضلات المزروعة بواسطة رياضة كمال الأجسام، فهو لم يستطع الانتصار في ذلك العراك الكبير أمام محاكم الدولة، ولذا فهو بالفعل يستحق أن يصبح أضحوكة.

وكذلك يحمل هذا الشخص أفكارا ينفرد بها، فها هو بعد أن وصل لسن التاسعة والثلاثين، يتردد على 'الجيم' راكبا القطار، مرتديا بنطلون جينز وجاكت جلد .وبالطبع انجذاب النساء له بشكله هذا، هو أمر مشكوك فيه تماما. المرأة سواء أكانت عجوزا أو شابة في الغالب تكون من المعجبين بالرجل المتأنق الذي يرتدي بذلة غامقة وربطة عنق رفيعة الذوق، فارتداء زي مثل جاكت جلد قذر وكأنه شجاعة، ستكون النهاية هي المضايقات. ورغم ذلك لو فعل ذلك شاب في سن التاسعة عشرة أو العشرين من عمره، فلربما تشعر بظرفه، ولكن أن يفعل ذلك الأمر رجل شيخ قد بلغ من العمر مقدارا معتبرا، فإن من يراه يشعر بضيق التنفس.

بل ولأن في الواقع هذا الذوق أتى له كنوع من أنواع ذوق النبلاء متقمصا لشخصية الروائي الياباني 'كافو ناجاي'، فهو ما يدل أكثر وأكثر على تكلفه الزائد. إذا جعلناه هو يتكلم فسيقول: إذا كان فعلا 'نبيل الروح' (تلك الكلمة التي كان الأديب الذي يكره بشدة، أوسامو دازاي يحب استخدامها كثيرا)، فيجب أن يكون البنطلون الجينز 'لائقا' عليه تماما. فإن من يحاول أن يظهر نفسه حسن الذوق، بارتداء البذل الغامقة، فمعنى هذا أنه في الواقع مبتذلا، وإذا كان ارتداء جينز مع جاكت جلد تفوح منه رائحة نبل، فسيكون ذلك نبلا حقيقيا، وليس ذلك فقط بل من أجل أن يكون نبلا جسمانيا وليس نبلا روحيا فقط، فلابد من ممارسة رياضة كمال الأجسام. تلك هي نظريته. فهو يرى دائما أن الرجولة المثالية كما يقول: هي 'امتلاك وجه شاعر وجسد مصارع ثيران'، ولكن انطباعي عنه من خلال رؤية صورته، أنه على الأكثر 'وجه كاتب عرائض أمام المحاكم، وجسد عامل باليومية'. وهو ما يجعله يبتعد كثيرا جدا عن الرجولة المثالية.

فأولا، من الصعب علينا أن نفهم بالتحديد، من هو الذي يريد إقناعه بأن ما يفعله أناقة؟ فقطعا من المستحيل أن تجعل النساء تفهم تلك الأناقة الصعبة. إذن لا يوجد في نهاية الأمر إلا الاعتقاد أن ذلك هو من أجل إرضاء غروره الذاتي فقط. ولكنني سمعت أنه يرد على المعترضين عليه بذلك القول، مستشهدا بعبارة بودلير التالية:

'جاذبية الذوق الرديء التي يصعب نسيانها، هي في تذوق متعة النبلاء من خلال امتعاض الآخرين منك.'

إذا كان الأمر كذلك فيجب علينا أن نقول إنه حقق نجاحا بالفعل في هذه النقطة إلى حد ما.

إذن هو في الحقيقة رجل من طراز قديم، لدرجة الاقتباس من بودلير شاعر القرن التاسع عشر. فلا يزال اتجاهه قديما جدا، بخلاف الشباب من الكتاب الذين يهيمون حبا في هنري ميلر ونورمان مايلر. ورغم ذلك فهو يحب كل جديد أضعاف حب البشر العاديين للجديد، فإذا جاءت دورة الألعاب الأوليمبية، تجده قد أهمل أعمالا في غاية الأهمية، وأخذ يدور من ملعب إلى ملعب كل يوم ممسكا بمنظار مكبر في يده لمشاهدة المباريات. وعندما يسمع أن هناك فندقا جديدا سيفتتح، تراه قد لحقه سريعا ليبات فيه أول لياليه. وإذا سمع أن إحدى الطرق السريعة الجديدة سوف يبدأ المرور بها من الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل، تجده ينتظر قبل خمس دقائق من الموعد داخل سيارته أمام مدخل الطريق في هانيدا .وهكذا تراه يعيش أيامه مشتت الذهن، منهك الأنفاس. ولكن أحد البراهين على أنه إنسان عتيق الطراز، هو كرهه للطائرات النفاثة كراهيته للموت، وإذا اضطر مرغما أن يستقلها، تجده وقت إقلاع الطائرة وقد امتلأت كفوف يده بالعرق، وهو يرتجف ويرتعش من الخوف.

هو يشتهر بضحكاته العالية، فاتحا فمه بدرجة كبيرة مثل البُلهاء، والتي بسببها قد انهارت كل لحظات الرومانسية الرقيقة التي حدثت له في حياته.

وهو كذلك يزين منزله بروبابيكا من التحف الغربية القديمة التي جمعها من خلال الشراء بمبالغ ضئيلة، مما يجعل المنزل ضيقا بها، ويأتي ذلك فوق أرضية من بلاط أرضي من طراز الشطرنج باللونين الأخضر والأبيض، الذي يمكن أن يظهر في مجلة 'سانبون' للتصاميم المعمارية، وهو ما يجعلك تعتقد أن صالونا للحلاقة تحول كما هو فجأة إلى محل لبيع الأدوات القديمة.

في الواقع كلما بحثت في تفاصيل المعلومات التي جمّعتها لي إدارة التحرير، كلما كان من الصعب عليّ معرفة هل هو يحمل إحساسا مرهفا بالجمال؟ أم هو إنسان خام غليظ الحس تماما تجاه ما يسمى التوافق؟ هذه النقطة غير معروفة إطلاقا. إذا كان يحب التوافق، فهو يحب أيضا التباين القوي، ورغم أنه من الأفضل الانحياز إلى أحدهما، إلا أنه

وبسبب طمعه يحاول الجمع بين حب الاثنين معا. ألا يدل هذا على أنه هو نفسه أصبح لا يعلم من أمر نفسه شيئا؟!

ويبدو أن كرهه للبشر قد ازداد تدريجيا مع مرور السنين سوءا، وفي نفس الوقت تقوى مشاعر الوحدة عنده، وسُمعته مؤخرا أنه أصبح في الواقع إنسانا يصعب التعامل معه. ياللمسكين! هذا الروائي الذي تربى تربية ارستقراطية مدللة، بدأت عينه تتفتح تدريجيا على قاع هذا العالم البائس، وبعد أن تفتحت عينه، أصبح له ميل لنبذ كل شيء، يرفض هذا ولا يرضى بذاك .ولذا شخص بهذه المواصفات لا ضرورة إطلاقا لسماع فلسفته التشاؤمية بشكل جدي، يكفي فقط أن تستمع له وأنت تقول له موافقا أجل .. أجل

الشخص الذي يريد أن يرى وجهه سعيدا سعادة حقيقية (طبعا هذا الحديث بافتراض وجود شخص رديء الذوق لهذه الدرجة)، فليذهب ليشاهده بعد أن ينتهي من ممارسة كمال الأجسام أو رياضة الكندو، وقد أخذ دشا ثم بدأ يستمتع بشرب الكوب الأول من البيرة .في حالته النفسية تلك، لو أتيت أنت لتتطفل عليه وتحاول أن توجه له حديثا في الأدب مثلا، فلا أدري كيف سيقوم بتعنيفك، بأسلوب في غاية التعجرف والبرود. أما من يقول: إذا كان يحب الرياضة لهذه الدرجة ويكره الأدب، فلماذا لا يهجر الأدب سريعا ويتحول إلى لاعب رياضي؟ فهو شخص معدوم الإحساس. فأولا هو ليس لديه موهبة تجعله قادرا على أن يصبح لاعبا رياضيا، وفي الأصل الوقت متأخر جدا لفعل ذلك. ولهذا فهو كل ليلة يلوك الأدب الذي يفترض أنه يكرهه، ويقضي الليالي ساهرا حتى الصباح مستمرا في كتابة الروايات على مدى ما يقرب من عشرين عاما. ومهما لاقى في ذلك من محن ومتاعب لمرات عديدة فهو مستمر في كتابة الروايات دون أن يتعظ. وكلما استمر في الكتابة كلما أصبحت رواياته أكثر صعوبة، مما يجعله يستشيط غضبا، ثم يفرغ غضبه في تناول البوفتيك.

عند التمعن في صفات هذا الرجل، ومن خلال محاضراتي عن شخصيات الرجال التي داومت عليها حتى الآن، ربما يبدو لي أنه إنسان عبثي من الدرجة الأولى، ولكنه كذلك رجل من الرجال. لربما في المستقبل القريب يستطيع القيام بعمل هائل للغاية. فلنراقبه مع القراء بصبر وطول بال.